أخبار كثير عزة

نسبه

هو أبو صَخر كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأَسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلد ابن سَعيد بن سُبَيع [1] بن جِعْثمة [2] بن سَعد بن مُلَيح بن عمرو ، وهو خُزاعة ابن رَبيعة ، [وهو يحيى] بن حارثة بن عمرو ، وهو مُزَيْقيا بن عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القَيس البِطْريق بن ثَعْلبة البُهلول بن مازن بن الأَزْد — زَاد الرَّاكب [3] — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

وأمه جُمْعة بنت أبي جُمْعة [4] بن خالد بن عُبيد بن مُبشِّر بن رِياح بن سيالة ابن عامر بن جِعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة .

ولذلك كان يقال لكُثيِّر : ابن أبي جُمْعة .

طبقته فى الشعر

وهو من فحُول الشعراء . وجَعله ابنُ سَلّام فى الطبقة الأُولى منهم ، وقَرن به جريراً والفرزدق والاخطل والرَّاعى .

مذهبه وشىء عنه

وكان غالياً فى التشيُّع يَذهب مَذهب الكَيسانيِّة [5] ، ويقُول بالرَّجعة والتَّناسُخ . وكان مُحمَّقاً مشهوراً بذلك .

وكان آل مَروان يَعلمون مذهبه ولا يُغيِّرهم ذلك عليه ، لجلالته فى أعيُنهم ولُطف محلِّه عندهم . وكان من أَتْيَهِ الناس وأَذْهبهم بنفسه على كل أحد .

رأى ابراهيم بن سعد فى شعره

وذَكر بعض أهل الحديث قال :

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى (١ : ٨٠) : « يتيع » بالمثناة التحتية والثاء المثلثة .

(٢) فى التجريد : « خثعمة » تحريف .

(٣) يريد أنه إذا سافر وخرج معه الناس لم يتخذوا زاداً معهم ، لأنه يكفيهم ويغنيهم . ومكان هذه العبارة فى غير التجريد : « وهو درء ، وقيل : دراء ، ممدوداً » .

(٤) فى الأغانى : « بنت الأشيم » .

(٥) الكيسانية : أصحاب كيسان ، مولى على بن أبى طالب .

كُنّا نأتى إبرهيمَ بن سَعْد ، وهو خَبِيث [1] النَّفس ، فنسأله عن شِعر كُثيِّر ، فيطيب نفساً ويُحدِّثنا .

وقال إبرهيمُ بن سعد :

إنى لأروى لكُثيِّر ثلاثين قصيدةً ، لو رُقِى بها مَجنون لأفاق .

كان قصيراً

وقيل :

إنه كان قصيراً لا يبلغُ ضُروع الإبل . وكان إذا دَخل على عبد العزيز بن مروان يُقال له : تقاصَرْ لا يُصِب رأسَك السقفُ .

عاب جرير خلقته فرد عليه

وقال له جرير : أى رجل أنت لولا دمامتك ! فقال كثيِّر :

إنْ أَكُ قَصْداً فى الرِّجال فإننى ... إذا حلّ أمرٌ ساحتى لطَوِيلُ

نسبه وشعره فى ذلك

وقيل :

كان كُثيِّر يعتقد أنّ محمدَ بن الحنفيّة بجبال رَضْوى ، وأنه لا بُدّ أن يَظْهر ويَملك الأرضَ ، وأنه قائل الأبيات المَنسوبة إلى السيد الحِمْيرى ، التى منها :

وسِبْط [2] لا يَذُوق الموتَ حتى ... يَقُود الخيلَ يَقْدُمها اللِّواء

ويَرى الرَّجعةَ .

هو وعبد الله ابن حسن وقد عاده فى مرضه

وذُكر أنه دَخل عليه عبدُ الله بن الحَسن بن الحسن بن علىّ - عليهم السلام - يَعُوده فى مرضه الذى مات فيه، فقال له كُثيِّر : أَبشر ، فكأنّك بى بعد أربعين ليلةً قد طلعتُ عليك على فَرس عَتيق . فقال له عبد الله بن حسن : مالك عليك لعنة الله ! فوالله لئن متّ لا أشهدُك ، ووالله لا أعودك ولا أُكلِّمك أبداً .

هو وأبو هاشم

وذُكر أن كُثيِّر جرى بينه و بين رجل كلام ، و بلغ ذلك أبا هاشم ، فلما

(١) أى به غثيان .

(٢) هذه رواية التجريد و الديوان (٢ : ٦٨) . وفى غيرهما :

* وسبط لا تراه العين حتى *

اُجتمع به كُثيِّر : قال له أبو هاشم : كنتَ الساعة مع فلان فقلت كذا وكذا ، وقال لك : كذا وكذا . فقال له كُثيِّر : أشهد أنك رسولُ الله .

غلوه فى تمجيد بنى حسن

وكان ينظُر إلى بنى حَسن بن حَسن وهم صِغار فيقول : بأبى أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار !

وذُكر أنه كان إذا أَخذ عطاءه وَهب لهم الدَّراهم ، فيقول له أخوهم لأُمهم محمد بن عبد الله بن عَمرو بن عُثمان بن عفّان : يا عمّ ، هَبْ لى . فيقول : لا ، لستَ من الشجرة .

من حمقه مع عمة له

وذُكر من أنواع حُمقه وجُنونه أنه كان يدخُل على عَمَّة له بَرزة ، (١) فتُكرمه وتَطرح له وسادةً يَجلس عليها. فقال لها يوماً : ما تَعرفينى ولا تُكرمينى حقَّ كَرامتى ! فقالت : بلى والله ، إنِّى لأَعرفك . قال : فمن أنا ؟ قالت : أنتَ فلان وابن فلانة . وجعلتْ تَمدح أباه وأُمّه . فقال : قد علمتُ أنّك لا تَعرفينى . فقالت : ومَن أنت ؟ فقال : أنا يُونس بن مَتّى النبىّ .

قال له قوم إنه الدجال فصدق

وحَكى طلحةُ بن عُبيد الله قال :

ما رأيتُ قطُّ أحمَق من كُثيِّر ! دخلتُ عليه فى نَفر من قُريش ، وكُنّا كثيراً ما نهزأ به ، وكان يتشيّع تَشيُّعاً قَبيحاً ، فقلت له : كيف تجدك يا أبا صَخر ؟ فقال : أَجدنى ذاهباً . فقلتُ : كَلا . فقال : هل سمعتُم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلتُ : نعم ، يتحدّثون أنك الدَّجال . قال : أما لئن قلتَ ذاك إنِّى لأجد فى عَينى هذه ضَعفاً منذُ أيام .

أراد عبد الملك الخروج لحرب مصعب فمنعته عاتكة فذكر شعراً لكثير فخرج

وحُكى أن عبد الملك بن مَروان ، لمّا أراد الخروج إلى قتال مُصعب بن الزُّبير ، لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية ، وهى أُم ابنه يزيد ، وقالت : ياأمير المؤمنين ، لا تَخْرج السنةَ لحرب مُصعب ، فإنَّ آل الزُّبير قومٌ قد ذكروا خُروجك ،

(١) البرزة : التى لا تحتجب لسنها ، وتجلس إلى الناس تحدثهم ، مع عقل وعفة .

وأبعث إليهم الجيوش ، وبكت وبكى جواريها معها . فجلس وقال :قاتل الله ابن أبي جُمعة — يعنى كُثيِّرا — فأين قوله :

إذا ما أراد الغزْو لم تَثْنِ همَّه ... حصَانٌ عليها نَظْمُ[1] دُرٍّ يزينُها

نَهتْه فلما لم تر النَّهْى عاقَه ... بكت فبكى ممّا شَجاها[2] قطينُها

لكأنّه يرانى يا عاتكة ، ثم خرج .

هو وعبد الملك فى حرب مصعب

وذكر أنّه لما خَرج لحرب مُصعب نَظر إلى كُثيِّر ، وهو فى ناحية العسكر يسير مُطرقاً[3] ، فدعا به وقال له : إنى لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بثّك ، فإن أخبرتُك عنة تَصْدُقنى ؟ قال : قُل : وحقِّ أبى تُراب — يعنى عليًّا عليه السلام — إنك تصدُقني . قال : والله لأصدُقنّك . قال : لا ، أو تحلفَ به . فحلف به . قال: تقول : رجلان من قُريش يَلْقى أحدُهما صاحبَه فيحار به ، والقاتلُ والمقتول منهما فى النار ، فما مَعْنى مسيرى مع أحدهما إلى الآخر ، لا آمن سهماً عائراً لعلّه أنْ يُصيبنى فيقتُلَنى فأكونَ معهما . فقال : والله ما أخطأتَ ما فى نَفسى . قال : فارجعْ من قريب . وأمر له بجائزة .

سبب نسبته إلى عزة

وأكثر نَسيب كُثيِّر فى عَزّة بنت حُميل بن وقّاص الضَّمرية ، وإليها يُنسب كثير ، فيقال له : كُثيِّر عزة .

أول عشقه لعزة

وذُكِر أن أول عِشْقه لعزَّة أنّ كُثيِّراً مرّ بنِسْوة من بنى ضَمرة ، ومعه جَلَبُ غَنَم ، فأرسلن إليه عزّة وهى صغيرةٌ ، فقالت : يقُلْن لك النِّسوة : بِعْنا كَبشاً من هذه الغَنم وأَنْسِئنا بثمَنه إلى أن تَرجع . فأعطاها كبشاً . وأعجبتْه . فلما رَجع جاءتْه امرأةٌ منهن بدَراهمه . فقال : أين الصبيةُ التى أخذتْ منِّى الكَبْش ؟ قالت :

(١) وفى رواية : « عقد در » .

(٢) القطين : الخدم والأتباع والحشم .

(٣) فى الأصل : « متطرفاً » ، أى مبتعداً .

وما تَصنع بها ! هذه دراهمُك . فقال : لا آخُـذ دراهمى إلاّ ممّن دفعتُ الـكبش إليها . وخرج وهو يقول :

قَضى كُلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غَرِيمَه وَعزَّةُ مَمطولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهـا

وكان هذا أولَ لقائها له .

وقال فيها أيضاً :

نظرتُ إليها نظرةً وهى (١) عاتقٌ على حين أن شَبَّتْ وبانُ نُهودُهـا
من الخَفِـرات البِيض ودَّ جَليسُهـا إذا ما انْقضتْ أُحـدوثةٌ لو تُعيدها
نظـــرتُ إليهـا نظرةً ما يسُرنى بها حُمْرُ أَنْعـامِ البلاد وسُودُهـــا
وكنت إذا ما جئتُ سُعْدَى (٢) أزورها أَرى الأرضَ تُطْوى لِى ويَدْنُو بَعِيدُها

وذُكِر أنه لما أبى أنْ يأخذ الدراهمَ إلّا أن يراها ، أبرزتْها النسوةُ وهى كارهة لذلك . ثم أحبّته عزةُ بعد ذلك أشدَّ من مَحبّته لها .

عزة وعبد الملك وقد كبرت

وذُكِر أن عَزة دخلت على عبد الملك بن مَروان ، وقد عَجُزت ، فقال لها : أنت عزّة ؟ قالت : أنا عَزّةُ بنت حُمَيل . قال : أنت الذى يقول لك كُثيِّر :

لعزّةَ نارٌ ما تَبُـــوخ (٣) كأنّهـا إذا ما رَمَقْناها على (٤) البُعد كوكبُ
تَعجّب أصحـــابى لها (٥) ولضوئهـا وللمُصْطَلِيها آخرَ الليـــــلِ أَعجبُ

فما الذى أعجبه منك ؟ فقالت : كَلّا يا أميرَ المؤمنين، فلقد كنتُ فى وقته ذلك كالنار المُوقدة فى الليلة القَرّة (٦) .

---

(١) العاتق : الجارية أول ما تدرك .
(٢) فى الديوان : « وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها » .
(٣) تبوخ : تسكن .
(٤) فى الديوان : « من » .
(٥) فى الديوان : « لها حين أوقدت » .
(٦) العبارة فى بعض أصول الأغانى : « فوالله لقد كنت فى عهده أحسن من النار فى الليلة القرة » .

وقيل : بل قالت له : أعجبه منى ما أعجبَ الناسَ منك حتى صيَّروك خليفة .

— وكان لعبد الملك سنٌّ سوداء يُخفيها — فضحك حتى بدتْ . فقالت له : هذا الذى أردتُ أن أُبديه . فقال لها . تَروين قولَ كُثيِّر فيك :

وقد زعمتْ أنِّى تغيرتُ بعدها ... ومَن ذا الذى يا عزُّ لا يَتغيَّرُ

تَغيَّر جِسْمى والخليقةُ[1] كالذى ... عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بسرِّك مُخْبَرُ

فقالت : لا ، ولكنِّى أروى له :

كأنِّى أُنادى صخرةً حين أعرضتْ ... من الصُّمِّ لو تَمْشى بها[2] العُصمُ زَلَّتِ

صَفُوحاً[3] فما تلقاك إلّا بخيلةً ... فمَنْ مَلّ منها ذلك الوصلَ مَلَّت

فأُمر بها فأُدخلت على زوجته عاتكةَ بنت يزيد بن معاوية . فقالت لها : أرأيتِ قولَ كُثيِّر :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّةُ مَمطولٌ مُعَنًّى غريمُها

ما هذا الدَّين الذى ذكره ؟ قالت : قُبلةٌ وعدتُه إياها . قالت : أَنجزيها له وعلىّ إثمُها .

عزة وغلام لكثير مطلته حقه

وذُكِر أن كُثيِّراً كان له غُلام تاجر ، فباع لعزّة بعضَ متاعه ، ومَطلتْه مُدةً وهو لا يَعرفها . فقال لها يوماً : أنت والله كما قال مولاى :

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعَزّةُ مَمطولٌ مُعَنًّى غَريمُها

فأنصرفت خَجِلةً . فقالت له أمرأة . أتعرف عَزّة ؟ قال : لا والله . قالت : فهذه عَزّة . قال . فلا جرَم والله ، لا آخذ منها شيئاً أبداً . ورَجع إلى مولاه فأخبره بذلك . فأعتقه ووَهب له المالَ الذى كان فى يده .

---

(١) كذا فى الأصل والديوان . وفى أصول الأغانى : «كالتى» مكان «كالذى» .

(٢) العصم من الظباء : التى فى أذرعتها بياض وسائر جسدها أسود أو أحمر ؛ الواحدة : عصماء .

(٣) صفوحاً : صادة معرضة .

هو وعبد الملك فى أعجب خبر له مع عزة

وذُكر أن عبد الملك بن مروان سأل كُثيِّراً عن أعجب خبرٍ له مع عَزّة. فقال: حَججتُ سنة من السِّنين، وحَجّ زوجُ عزّة بها، ولم يعلم أحدُنا بصاحبه. فلمّا كان ببعض الطريق أمرها زوجُها بأن تبتاع سَمناً تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته. فجعلت تدُور الخيامَ خَيمةً خيمةً، حتى دخلتْ إلىّ — وهى لا تَعلم أنها خيمتى — وكنت أبرى سهماً لى، فلما رأيتُها جعلتُ أبرى وأنظرُ إليها وأنا لا أعلم، حتى بريتُ ذِراعى مرّاتٍ وأنا لا أشعرُ به، والدمُ يجرى. فلما تبيّنتْ ذلك دخلتْ إلىّ وأمسكتْ بيدى وجعلتْ تَمسح الدمَ بثَوبها. وكان عندى نَحْيٌ[1] من سَمن، فخلفتُ لتأخذنّه. فأخذتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدمَ سألها عن خبره، فكاتمتْه، حتى حَلف عليها لتصدُقنّه، فصدقتْه. فضَربها وحلف لتشتمنّي فى وجهى. فوقفتْ علىّ وهو معها، فقالت لى: يا بن الزانية، وهى تَبكى، ثم انصرفا. فذلك حيث أقول:

خَليلىّ هذا رَبْع عَزّة فاعقِلا ... قَلُوصَيْكما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ
وما كنتُ أدرى قبل عزّة ما البُكا ... ولا مُوجعاتِ القَلب حتى تولَّت
فليت قَلُوصى عند عزّة قُيِّدت ... بحبلٍ ضَعيفٍ بانَ منها فضلَّت
فأصبح فى القوم المُقيمين رحلُها ... وكان لها باغٍ سوايَ[2] فولَّت
فقلتُ لها يا عزّ كُلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذلَّت
أَسيئى بنا أو أَحْسنِى لا مَلُومةٌ ... لَدينا ولا مَقْلِيّةٌ إنْ[3] تَقلَّت
هَنيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعزَّةَ من أعراضنا ما اُستحلَّت
تَمنَّيتُها حتى إذا ما رأيتُها ... رأيتُ المَنايا شُرَّعاً قد أظلَّت

(١) نحى: زق.

(٢) هذه رواية التجريد. وفى غيره: «فبلت». وبلت المطية على وجهها، إذا ذهبت فى الأرض ضالة.

(٣) تقلت: تبغضت.

و بعده البيتان المُتقدمان[1] ، و بعدها :

أصاب الرَّدَى من بات ينوى لكِ الرَّدى وجُنّ اللواتى قُلْنَ عَزّةُ جُنَّتِ

لقاؤه عزة ليلة

وحَكى أبو عمرو الجُهنى قال :

سارت علينا عزةُ فى جماعة من قومها ، فَنزلت حِيالنا . فجاءنى كُثيِّر ذاتَ يوم ، فقال لى : أُريد أن أكونَ عندك اليومَ حتى أُمسى وأَذهب إلى عزة . فصرتُ به إلى مَنزلى . فأَقام عندى حتى كان العِشاء ، ثم أَرسلنى إليها وأعطانى خاتَمه ، وقال : إذا سلَّمتَ فستخرج إليك جاريةٌ ، فأُدفع إليها خاتَمى وأَعلمها بمكانى . فجئتُ بيتَها فسلَّمتُ ، فخرجت الجاريةُ ، فأعطيتُها الخاتَم ، فقالت : أين الموعدُ؟ فقلتُ : صَخرات أبى عُبيد اللَّيلةَ . فرجعتُ إليه فأعلمتُه . فلما أَمسى قال لى : أَنهض . فنهضتُ معه . وجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل ، فجلستْ فتحدَّثا فأَطالا . فذهبتُ لأقوم ، فقال لى : إلى أين تذهب ؟ فقلت : أُخلِّيكما ساعةً فلعلَّكما أن تتحدّثا ببعض ما تكتُمان . فقال : اُجلس ، فوالله ما كان بيننا شىءٌ قطُّ . فجلست وهما يتحدّثان ، و إن بينهما لثُمامةً[2] عظيمةً ، وهى من ورائها جالسةٌ ، حتى أَسحرنا . ثم قامتْ فانصرفتْ ، وقمتُ أنا وهو ، فظلّ عندى حتى أَمسى وانطلق .

لم يكن صادق الهوى

وذَكر بعضُهم أنّ كُثيِّراً لم يكن صادقَ المحَبة ، بخلاف جَميل بُثَينة . ومما يدُل على ذلك أنّ كثيِّراً رأى عَزَّة يوماً وهى تمشى وتَميس فى مِشْيتها مُتنقِّبة ، فلم يعرفها كُثيِّر ، فاتبعها كُثيِّر وقال : ياسيدتى ، قِفى حتى أُكلِّمك فإنِّى لم أرمثلَك قط ، فمَن أنت ؟ قالت : ويحك ! هل تركتْ عَزَّةُ فيك بقيّةً لأحد ؟ فقال : بأبى أنتِ ! لو أنّ عزةَ أمةٌ لى لوهبتها لك . قالت : فهل لك فى المُخالة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : أنّى وكيف بما قلتَ فى عزّة ؟ قال: أَقْلبه كُلَّه وأُحوِّله

(١) يريد قوله (ص ١٠١٣) : «كأنى أنادى» .

(٢) الثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

إليك . فسفَرت عن وجهها وقالت : أغدراً يا فاسق ! إنك لهكذا ! فأَبْلس [١] ولم يَنْطق ، وذهبتْ . فلما مَضت أنشأ يقول :

ألَا ليتنى قبل الذى قلتُ شِيب لى ... من السّمِّ جَدْحاتٌ بماء [٢] الذَّرارِح
فمتُّ ولم تعلم علىَّ [٣] جناية ... وكم طالبٍ للرِّبْح ليس برَابح
أبوءُ بذَنبى إننى قد ظلمتها ... وإنى بباقِى سرِّها غيرُ بائح

حديث لقائه عزة فى طريقه إلى مصر

وحكى سائبٌ راويةُ كُثيِّر قال :

خرجتُ مع كُثيِّر نُريد مِصْرَ ، فمررنا بالماء الذى فيه عَزّة ، فإذا هى فى خِباء ، فسلَّمنا جميعاً ، فقالت : وعليك السلامُ يا سائب ، ثم أقبلتْ على كُثيِّر فقالت : ويحك ! ألا تَتَّقى الله ! أرأيت قولَك :

بآية ما أتيتُكِ أمَّ عمرو ... فقمتِ بحاجتى والبيتُ خالِى

أخلوتُ معك قطُّ فى بيتٍ أو غير بيت ؟ قال : لم أقُله ، ولكنِّى قلتُ :

فأُقسِم لو أتيتُ البحرَ يوماً ... لأَشربَ ما سقَتْنى من [٤] بِلالِ
وأُقسِم أنَّ حُبَّك أمَّ عمرو ... لداءٌ عند [٥] مُنقَطع السُّعَال

فقالت : أمّا هذا فنعم . قال : فأَتينا عبدَ العزيز بن مروان ثم عُدنا . فقال كُثيِّر : عليك السلام يا عَزّة . فقالت : عليك السلام يا جَملُ . فقال كُثيِّر :

حيَّتك عَزَّةُ بعد البَيْن فانصرفتْ ... فَحىٍّ ويحكَ مَن حيَّاك ياجملُ
لو كنت حيّيتَها ما زِلْتَ ذامِقَةٍ ... عندى وما مسَّك الإدلاجُ والعَمل

(١) أبلس : سكت وتحير .

(٢) الجدحات : أقدار من السويق يخلط بالماء ويلت . والذراريح — وحذفت ياؤه — : جمع : ذروح ، وهى دويبة أعظم من الذباب شيئاً ، مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة ، لها جناحان تطير بهما ، وهى سم قاتل .

(٣) وفى رواية : « خيانة » مكان «جناية » .

(٤) البلال : كل ما يبل به الحلق من الماء ونحوه .

(٥) منقطع السعال ، أى الصدر . والرواية فى الديوان نقلا عن الشعر والشعراء : « لدى جنبى ومنقطع السعال » .

ليتَ التحيّةَ كانت لى فأشكُرَها مكانَ «يا جملُ» حُيِّيتَ يا رجل

أغرت به عزة بثينة لتتبين حاله

وذُكِر أنّ عزة قالت لبُثينة صاحبة جَميل : تَصدَّىْ لكُثيِّر وأَطمعيه فى نفسك حتى نَسمع ما يُجيبك به . فأقبلتْ إليه ، وعزةُ تمشى وراءها مُتخفِّية ، وعَرضت عليه الوصلَ ، فقار بها ، وقال فى ذلك :

رمتْنى على عَمْدٍ بُثَيْنةُ بعد ما تولّى شَبابِى وارجحنّ [1] شبابُها

بعَيْنين نَجلاوَيْن لو رَقرقتْهما لِنَوْء الثُّريّا لاستهلّ سحابُها

فكَشفت عزةُ وجهها ، فبادرها الكلامَ وقال:

ولكنّما تَرْمين نفساً مريضةً لعزّة منها صَفْوُها ولُبابُها

فضحكت ثم قالت : أولى لك بها ! نجوتَ . وانصرفتا يتضاحكان .

حديث عشقه لأم الحويرث

وذُكِر أن عَزّة تُوفيت وكُثيِّر حَىّ ، وأنه بعد موتها تعشّق امرأة من خُزاعة، يقال لها: أُم الحُويرث ، فنَسب بها ، وكَرهت أن يُسمِّع بها ويَفضحها كما فعل بعزّة ، فقالت له : إنك رجلٌ فقير ، فابتغِ مالاً يُعفِّى عليك ، [2] ثم تعالَ واخطُبنى كما يخطُب الكِرام . فقال : فاحلفى لى ووثِّقى أنك لا تتزوّجين حتى أَقْدَم . فحلفتْ ووثّقت له . فمَدح عبدَ الرحمن بن الأبرش [3] الأَزدىّ . وخَرج إليه ، فلقيتْه ظِباءٌ سَوانح، ولقى غُراباً يَفحص التراب برأسه [4] ، فتطيّر من ذلك حتى دَخل على حىٍّ من لِهْب [5] : فقال : أيكم يَزْجُر ؟ قالوا: كُلّنا ، فمن تُريد ؟ قال : أعلمُكم بذاك . قالوا : ذلك الشيخُ المُنحنى الصُّلْب . فأَتاه فقصّ عليه القصّة . فكره ذلك له ، وقال : قد ماتت أو تزوّجت رجلاً من بنى عَمِّها . فقال :

تيمّمتُ لِهْباً أبتغى العِلْمَ عندهم وقد رُدّ عِلمُ العائفين إلى لِهْبِ

(١) أى اهتز نضارة .

(٢) يعفى عليك ، أى يمحو آثار فاقتك ويغيرها إلى غنى .

(٣) فى غير التجريد : « عبد الرحمن بن إبريق الأزدى » .

(٤) فى الأغانى : « بوجهه » . (٥) لهب : قبيلة من اليمن ، معروفة بالزجر .

تيمّمتُ شيخاً منهـمُ ذا [١] بَجَالةٍ ... بَصيراً بزَجْر الطـير مُنحنِيَ الصُّلب
فقلتُ له ماذا تَرى فى سَـوانحٍ ... وصوتِ غُرابٍ يَفحص الرأسَ [٢] بالتُّرب
فقال جَرى الطيرُ [٣] السَّنيح ببَيْنِهـا ... وقال غرابٌ جَـدَّ مُنْهَمِرُ السَّـكْب
فإلّا تكُن ماتت فقـد حال دونهـا ... سـواكَ خليلٌ باطنٌ من بنى كَعب

فأَتى الرجلَ الأزدىَّ فمدحه ، فأَصاب خيراً . ثم قدم عليها فوجدها قد تزوّجت رجلاً من بنى عمِّها ، فأَخذ كُثيِّرًا الهُلاَسُ [٤] ، فكُشِح [٥] جَنباه بالنار . فلما اندمل و برئ من عِلَّته وضَع يدَه على ظَهره ، فإذا هو بَرقمتين . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أَخذك الهُلاَس وزَعم الأطباء أنه لا عِلاج له إلا الكَشْح بالنار ، فكُشِحتَ بالنار . فقال :

عَفا الله عَن أُم الحُويرث ذَنْبها ... علامَ تُعنِّينى وتَكْمِى [٦] دوائيا
فلو آذنونى قبل أن يرقُوا بها ... لقُلت لهم أُمُّ الحُويرث دائيا

وفاته وعكرمة الفقيه

وذُكِر أن كُثيِّر عزة ، وعِكْرمة الفقيه ، صاحب ابن عباس ، تُوفِّيا فى يوم واحد ، وذلك فى سنة خمس ومائة ، فأُخرجت جِنازتاهما .

قال الراوى :

فما علمتُه تخلّفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما . وقيل : مات اليومَ أعلمُ الناس ، وأشعرُ الناس . وغَلب النساء على جنازة كُثيِّر يَبكينه ويندُبْن عزّة فى نَدْبهن له . فقال أبو جعفر محمد بن علىّ الباقر ـ عليهما السلام ـ : أفرجوا لى عن جِنازة كُثيِّر لأَرفعها .

---

(١) البجالة : النبل و العظم . بجل بجالة و بجولا . لا توصف بذلك المرأة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى والديوان (١ : ٢١٥) : « الوجه » .
(٣) فى الديوان : « الظبى » . (٤) الهلاس : الهزال عن داء ، أو هو السل .
(٥) الكشح : الكى .
(٦) تكمى : تستر .

قال الراوى : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن علىّ يضربهن بكُمِّه ويقول : تَنَحَّين يا صُوَيحبات يُوسف . فانتدبتْ له امرأة منهنّ وقالت : يابن رسول الله ، لقد صَدقتَ ، إننا لصُوَيحباته ، وقد كُنَّا خيراً منكم له . فقال محمد بن علىّ لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئنى بها إذا انْصرفنا . فلما انصرف أُتى بتلك المرأة كأنها شَرارةُ النار . فقال لها محمد بن علىّ : إيهٍ ، أنت القائلة : إنكن ليُوسف خيرٌ منّا ؟ قالت : نعم ! تُؤْمنى غضبك يا بن رسول الله ؟ قال : أنت آمنة من غَضبى ، فأَبِينى . قالت : يابن رسول الله ، نحن دعوناه إلى اللذّات من المَطعم والمَشرب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معاشرَ الرجال ألقيتُموه فى الجُب ، وبِعْتموه بأبخس الأثمان ، وحَبسْتموه فى السجن ، فأيُّنا كان عليه أحْنَى وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله دَرُّك ! لن تُغالَب امرأةٌ إلاّ غَلبت . ثم قال لها : ألكِ بَعْل ؟ فقالت : لى من الرِّجال مَن أنا بعلُه . فقال لها محمد : ما أَصدقَك ! مثلُك من تَملك زوجَها ولا يَملكها . فلما انصرفتْ ، قال رجل من القوم : هذه زينبُ بنت مُعَيْقيب[1] الأنصارية .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار كُثيِّر ، هو :

توهَّمت بالخَيف رَبعاً مُحِيلاَ ... لِعزّة تَعْرِفُ منه الطُّلولاَ[2]

تَبدَّل بالحىِّ صوتَ الصَّدَى ... ونوحَ الحَمامة تَدعو هَدِيلا[3]

(١) فى بعض أصول الأغانى : « معيقب » .

(٢) قال أبو الفرج : « الخيف الذى عناه كثير ليس بخيف منى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضمرة . والطلول : جمع : طلل ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار » .

(٣) الصدى : طائر — زعموا — يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح : اسقونى ، حتى يدرك بثأره . والهديل : صوت الحمام .

أخبار عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ابن الحسين بن مصعب

شيء من صفته

ويُكنى أبا أحمد. وهو أمير جليل، عظيم القدر والمحلّ هو وأهل بيته. وكان أديباً متصرِّفاً فى فنون الأدب، راوية للشعر، قائلاً له، عالماً بأيام الناس وأخبارهم، عالماً بالموسيقى والهندسة، وغير ذلك مما يجلّ عن الوصف ويكثُر.

قدره فى الغناء

وله فى الغناء صنعة عجيبة مُتقنة. وكان الخليفةُ المُعتضد بالله ربما أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناءً، وبحضرته أكابرُ المُغنِّين، فيَعْدل عنهم إليه، فيُحسن أحسن صنعة، ويترفَّع عن إظهاره نفسه بذلك، فيومىء إلى أنه من صنعة جاريته شاجِى.

مولاته شاجى وشعره فى رثائها

وكانت إحدى المُحسِنات المُتقنات، وكان المُعتضد إذا استحسن شيئاً بعث به إلى شاجى فتُغنِّى فيه.

وكانت صنعتها فى عصره تُسمَّى: غناء الدَّار. وتُوفيت شاجى فى حياة مولاها عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فقال يرثيها:

يَميناً يَقيناً لو بُليتُ بفقْدها ... وبى نَبْضُ عِرْقٍ بالحياة أو النُّكْسِ
لأوشكتُ قَتْلَ النَّفس قبل فِراقها ... ولكنّها ماتتْ وقد ذَهبت نَفْسى

من شعره

وضاقت أحوالُ عُبيد الله فى آخر عُمره، وكان جواداً. ومن جيِّد شعره قولُه:

فأَنْفِق إذا أَيسرتَ غيرَ[1] مُقصِّر ... وأَنفِق إذا خَيَّلت أنك[1] مُعْسِرُ
فلا الجُود يُفْنِى المالَ والجَدُّ[2] مُقبل ... ولا البُخل يُبقى المالَ والجَدُّ مُدْبِر

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «مقتر * وأنفق على ما خيلت حين تعسر».

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «والمال».

هو والزبير بن بكار حين أرسل المعتز يوليه القضاء

وذُكر أن كتاب المُعتز بالله وَرد إلى مُحمد بن عبد الله بن طاهر ، وهو نائب الخليفة ببغداد ، يأمرُه بإحضار الزُّبير بن بكّار ليولِّيه القضاء ، فأخبر عُبيد الله ابن عبد الله الزُّبيرَ بوُرود كتاب الخليفة إلى أخيه بذلك . فقال الزُّبير : قد بلغتُ هذه السِّنَّ وأتولَّى القضاء ! أوَ بعد ما رويتُ أنّ من تولَّى القضاء فقد ذُبح بغير سِكِّين ! فقال له : فتَلْحق بأمير المُؤمنين بسُرَّ مَن رأى . فقال : أفعل . فأمر له بمال ونَفقة (١) ، وبظَهر يَحمله ويَحمل ثَقَله (٢) ، ثم قال : إن رأيتَ يا أبا عبدالله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نَفترق ! قال : نعم ، انصرفتُ من عُمرة المُحرَّم ، فبينا أنا بأُثاية(٣) العَرْج ، إذا أنا بجماعة مُجتمعة ، فأقبلتُ إليهم ، فإذا رجل كان يَقْنِص الظِّباء ، وقد وقع ظَبي فى حِبالته فذَبحه ، فانتفض فى يده ، فضَرب بقَرنه صدرَه ، فنَشِب القرنُ فيه فمات . فأقبلتْ فتاةٌ كأنها المَهاة ، فلمـــا رأت زوجَها ميتاً شَهِقت ثم قالت :

يا حُسْنُ لو بَطَلٌ لـــكنَّه أجـلُ ... على الأُثَاية ما أَوْدَى به البَطلُ
يا حُسْنُ جَمَّع أحشائى (٤) وقَلْقلها ... وذاك يا حُسنُ لولا غيرُه جَلَل
أضحتْ فَتاةُ بنى نَهْدٍ عَـــلانيةً ... وبَعْلُها فوق أيدى القوم يُحْتمل

ثم شَهقت فماتت . فما رأينا أعجب من الثلاثة : الظبى مَذْبوح ، والرجلُ ميِّت ، والفتاة ميِّتة حَرَّى .

فأمر له عبيدُ الله بمال آخر ، ثم أقبل على أخيه محمد بعد خُروج الزُّبير وقال : أمّا الذى أخذناه من الفائدة فى خَبر حُسْنٍ وقولها :

* أضحت فتاة بنى نهد علانية *

— تريد : ظاهرة — أكثرُ عندى مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ينفقه » . (٢) الثقل : المتاع .
(٣) أثاية : موضع فى طريق الجحفة بين الرويثة والعرج . (ياقوت) .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأقلقها » مكان « وقلقها » .

أخبار مُسافر بن أبي عمرو

نسبه

مُسافر بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شَمس بن عبد مناف . ويكنى أبا أُمية .

أمه

وأُمه آمنة بنت أبَان بن كُلَيب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة ، وهى أُم أبي مُعَيط أبان بن أبي عمرو . فأبو مُعَيط والد عُقبة ، ومُسافر ، أخوان لأب وأُمّ . وهما أخوا عُمومتهما أبي العاص و إخوته[1] ، من بَنى أُمية الذين أُمهم آمنة ، لأنّ أبا عمرو بن أُميّة تزوّج آمنة هذه بعد أُميّة .

أحد أزواد الركب

وكان مُسافر سيّداً جواداً ، وهو أحد أَزْواد الرّكب[2] . و إنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لاَ يَدعون غريباً ولا مُحتاجاً ولا مارًّا فى طريق مُجتازاً بهم إلّا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يَظْعَن .

هو وهند بنت عتبة

ولمُسافر شعر حَسن ليس بالكثير . وكان يَهوى هِنْدَ بنت عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمس ، وخَطبها بعد فراقها زَوجَها الفاكهَ بن المُغيرة ، فلم يَرض أبوها ثَرْوتَه . فوفد إلى النُّعمان بن المُنذر يَسْتعينه على أمره .

وذُكر أن هِند بنت عُتبة كانت مُزوَّجة للفاكه بن المُغيرة ، وكان من فِتْيان قُريش ، وكان له بيتٌ للضِّيافة ، بارز من البُيوت ، يَغشاه الناسُ من غير إذن . فخلا البيتُ ذاتَ يوم ، فاضطجع هو وهِنْد فيه ، ثم نَهض لبعض حاجاته ، وأقبل رجلٌ ممّن كان يَغشى البيت فوَلجه ، فلما رآها رَجع هارباً ، وأبصره الفاكهُ ، فأقبل إليها فضَربها برجله ، وقال لها : مَن هذا الذى خَرج من عندك ؟ قالت: ما رأيتُ

---

(١) فى الأغانى : « وأخويه » .

(٢) أزواد الركب : ثلاثة نفر من قريش : مسافر هذا ، وزمعة بن الأسود ، وأبو أمية ابن المغيرة .

أحداً ولا أنتبهتُ حتى أنبهتَنى . فقال لها : أرجعى إلى أبيك . وتكلّم الناسُ فيها . فقال لها أبوها عُتبة بن ربيعة : إنّ الناس قد أكثرُوا فيكِ ، فأنبئينى نَبَأك ، فإن يكن الرجلُ عليك صادقاً دسستُ عليه مَن يقتُله فتنقطع عنك المقالةُ ، وإن يكُ كاذباً حاكمتُه إلى كُهّان اليمن . فقالت : لا والله ما هو علىّ بصادق . فقال له : يا فاكه ، إنّك قد رميتَ أبنتى بأمرٍ عظيم ، فحاكِمْنى إلى بعض كُهّان اليمَن . فخرج الفاكهُ فى جَماعة من بنى مَخْزوم ، وخرج عُتبة فى جماعة من عبد مَناف ، ومعهم هِنْد ونِسْوةٌ . فلما شارفُوا البلاَد وقالوا : غداً نَرِد على الرجل ، تنكّرت حالُ هند . فقال لها عُتبة : إنّى أرى ما بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندك . فقالت : لا والله يا أبتاه ، ما ذاك لمكروه عِنْدى ، ولكنى أعرف أنكم تأتُون بَشَراً يُخطىء ويُصيب ، ولا آمنه أن يَسِمَنى مِيسَماً يكون علىّ سُبَّةً . فقال لها : إنى سوف أختبره لك . فَصَفر بفرسه حتى أَدْلَى [1] ، ثم أدخل فى إحْليله حبّة بُرّ وأوكأ عليها بسَير . فلما أصبحوا قَدِموا على الرَّجل ، فأكرمهم ونَحر لهم . فلما تغدَّوا قال عُتبة : قد جئناكَ فى أمر ، وقد خبأتُ لك خَبيئةً أختبرك بها ، فانظُر ماهو ؟ فقال : تمرة فى كَمَرة . فقال : إنى أُريد أبْيَن من هذا . فقال : حَبّة بُرّ فى إحليل مُهْر . قال : صدقتَ . أنظُر فى حالِ هؤلاء النِّسوة . فجعل يَدْنُو من إحداهن ويقول لها : أنهضى . حتى دنا من هِنْد فقال : أنهَضى غيرَ رَسْحاء [2] ولا زَانية ، ولتَلِدنّ مَلِكا يقال له مُعاوية . فنَهض إليها الفاكه فأخذ بيدها . فنَبزت يدَها من يده وقالت : إليكَ ، فوالله لأحرصنّ على أن يكونَ ذلك من غيرك . ثم خَطبها مُسافر بن أبى عمرو بن أُمية ، وكان أحبَّها ، فلم يُزوِّجه أبوها به لفَقره . فقَدِم الحيرَة ليحصُل له ما يَستعينُ به على تَزْويجها . وخَطب أبو

(١) أدلى : أخرج جرذانه ليبول أو يضرب .

(٢) الرسحاء : الخفيفة العجيزة .

سفيان بن حَرب بن أُمية هِنداً من أبيها . فزوّجه إياها . ثم لقى أبو سفيان ابن عمه مُسافراً . فسأله مُسافر عن حال قُريش والناس . فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجتُ هِنْد بنت عُتبة . فدَخله من ذلك ما اعتلّ معه، حتى استسقى بطنه[1] . فقال مُسافر فى ذلك :

ألا إنّ هِنداً أصبحت منك مَحْرَماَ ... وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا

وأصبحتَ كالمَسلوب[2] جَفْنَ سِلاحه ... يُقلِّب بالكَفَّين قَوساً وأسْهُما

فدُعى له بالأطبّاء . فقالوا : لا دواءَ له غير الكَىّ . فأجاب إليه . فأحمى الذى يعالجه مَكاويه وقال : أُدعوا له أقواماً يُمسكونه . فقال له مُسافر : لستُ أحتاج إلى ذلك . فلما رأى الطبيبُ صَبْره ضَرَط . فقال مُسافر :

* قد يَضْرط العَيْر والمِكْواة فى النار *

فذهبت مثلا . فلم يزدَدْ إلا ثِقَلاً .

موته ورثاء أبى طالب له

فخرج يُريد مكة ، فلما انتهى إلى مَوضع يقال له هُبَالة مات ، فدُفن بها . ونُعى إلى قُريش ، فقال أبو طالب بن عبد المطلب يَرثيه :

ليتَ شِعْرى مُسافِرَ بنَ أبى عمـ ... ـرٍو وليتٌ يقولها المحزون

رَجع الرَّكبُ سالمين جميعاً ... وخليلى فى مَرْمَسٍ[3] مَدْفون

بُورِك الميِّتُ الغريبُ كما بُو ... رِك غَضٌّ[4] الرَّيحان والزَّيتون

مَيت صِدْق[5] على هُبالة قد حا ... لتْ فَيافٍ من دونه وحُزون

مِدْرَهٌ يدفع الخُصومَ بأيدٍ ... و بوجهٍ يَزينه العِرْنين

(١) أى اجتمع فيه ماء . وهو داء الاستسقاء .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالمقمور » .

(٣) المرمس : القبر .

(٤) فى معجم البلدان فى رسم هبالة والأغانى : « نضر » .

(٥) فى الأغانى : « بيت » .

ذكر خبر عمارة بن الوليد

ابن المغيرة المخزومى

ما كان بين قريش وأبى طالب بشأن النبى صلى الله عليه وسلم وشأنه

قلتُ : وهو أحدُ فِتيان قُريش . وكان حسنَ الصُّورة . وكانت قُريش قد طلبوا من أبى طالب تَسليم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم لمّا أظهر نُبوَّته ودعا قُريشاً إلى التوحيد وتَرْك ما كان يعبد آباؤهم. فأمتنع عمُّه أبو طالب من ذلك وذَبَّ عنه وقام بنُصرته . فمشَوْا إلى أبى طالب بعُمَارة بن الوليد ، وقالوا : خُذ هذا بدلَ محمد وأدفع إلينا محمداً . فقال : يا عَجباً منكم ! أدفع إليكم أبنى تقتُلونه وآخُذ منكم أبنكم أمُونه ! فأصرَّ على نُصرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومَنَعه منهم .

هو وعمرو بن العاص فى الحبشة

وبعد ذلك خَرج عُمارة بن الوليد ، وعَمرو بن العاص بن وائل السَّهمىّ ، وكانا كلاهما تاجرَيْن ، إلى أرض الحَبشة ، ومَلِكُها النَّجاشىّ ، وكانت أرضُ الحَبشة لقُريش متجراً ووجهاً . وكلاهما يومئذ مُشْرِك شاعرٌ فاتك . وكان عُمارة بن الوليد مُعْجَباً بالنِّساء وصاحبَ مُحادثة . فرَكِبَا فى السَّفينة ليالىَ ، فأصابا من خَمرٍ معهما . فلما أنتشىَ عُمارة قال لأمرأة عمرو بن العاص : قَبِّليني . فقال لها عمرو : قَبِّلى أبنَ عمِّك . فقبَّلته . وحَذِر عمرو على زَوجته ، فرَصدها ورَصده ، فجعل إذا شَربا أقلَّ عمرو من الشَّراب وأرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكَر فيغلبَه عُمارة على زَوجته . وجعل عُمارة يُريدها على نفسها ، فأمتنعت منه . ثم إنّ عَمرو بن العاص جَلس فى ناحية السَّفينة يبُول ، فدفعه عُمارة بن الوليد فى البَحر ، فلمَّا وَقع سَبح حتى أخذ بالقَلْس [1] ، فأرتفع فَظهر على السَّفينة . فقال له عُمارة : أمَا والله يا عَمرو

(١) القلس : حبل غليظ من حبال السفينة .

لو علمتُ أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ . فلمّا قال عُمارة ذلك لعمرو اُضطغنها ، وعَرف أنه أراد قَتْله . ومَضَيا على وجهَيْهما حتى قَدِما أرضَ الحَبشة ونَزَلاها . وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص : أنِ اُخْلَعني وتبرَّأ منِّى ومن جَريرتى إلى بني المُغيرة وجَميع بنى مَخزوم . وخَشِى على أبيه أن يُتَتَبَّع بجَريرته وهو يترصّد لعُمارة ما يترصّد [1] . فلمّا وَرد الكتابُ على العاص بن وائل مَشى فى رجالٍ من قومه ، منهم : نَبيه، ومُنبّه ، اُبنا الحجّاج ، إلى بنى المُغيرة وغيرهم من بَنى مَخزوم، وقال : إنّ هذَين الرجلَين قد خَرجا حيث علمتُم ، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شرّ ، وهما غير مأمونَيْن على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ، وأنا أبرأُ إليكم من عَمرو ومن جَريرته ، وقد خلعتُه . فقالت بنو المُغيرة و بنو مَخزوم : أنت تخافُ عَمراً على عُمارة ! قد خَلعنا عُمارة وتبرأنا إليك من جَريرته ، فخَلِّ بين الرَّجلين . فقال السَّهميّون: قد قَبِلْنا، فابعثُوا مُنادياً يُنادى بمكة : إنا قد خَلعناهما . وتبرّأ كُلُّ قومٍ من صاحبهم وممّا يجُر عليهم . فبعثوا منادياً نادَى بمكة بذلك . فقال الأسودُ بن المُطَّلب : طُلَّ [2] والله دمُ عُمارة بن الوليد آخرَ الدَّهر! فلما اُطمأنّا بأرض الحَبشة ، لم يلبث عُمارة أن دَبّ لامرأة النَّجاشىّ ، فأدخلته ، فاُختلف إليهـا . فجعل إذا رَجع من مَدخله يُخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أُصدِّق أنك قَدرت على هذا الشأن ! إنّ المرأةَ أرفعُ من ذلك . فلمّا أكثر على عَمرو مما كان يُخبره ، صدَّقه ، [3] ولـكنّه أحبّ التثبُّت . وكان عُمارة يغيب عنه حتى يأتيَه فى السَّحر ، وكانا فى منزل واحد . وجعل عُمارة يدعوه إلى أن يَشرب معه، فيأبى عَمرو ويقول : هو يَشغلك عن مَدخلك . وكان عمرو يريد أن يأتيَه بشىء

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وهو يرصد لعمارة ما يرصد » .
(٢) طل : أهدر . وفى بعض أصول الأغانى : « بطل » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وقد كان صدقه » .

لا يَستطيع دَفْعَه ، إن هو رَفعه إلى النجاشى . فقال فى بعض ما يذكُر له من أمرها: إن كنتَ صادقاً فقل لها فَلْتَدْهنك من دُهن النَّجاشى الذى لا يَدَّهنُ به غيرُه ، فإنِّي أعرفه ، وأْتنى به لأُصدِّقَك . ففعل عُمارة ، فجـاء بقَارورة من دُهنه . فلمّا شَمَّها عمرو عَرفها وقال : أشهد أنك صادق ، ولقد أصبتَ شيئاً ما أصابه أحدٌ من العرب ، من امرأة المَلِك ، ما سمعنا بهذا ! [1] وسكت عنه ، حتى إذا اطمأن دخل إلى النَّجاشى فقال : أيها الملك، أنّ ابن عمى سَفيه ، وقد خشيتُ أن يَعُرَّنى عندك أمرُه ، وقد أردتُ أن أُعلمَك شأنه ، ولم أَفعل حتى استثبتُ أنّه قد دخل على بعض نِسائك فأكثر ، وهذا من دُهنك قد أُعْطِيَه ودَهننى منـه . فلما شَمَّ النَّجاشىُّ الدُّهن قال له : صدقتَ ، هذا دُهْنى الذى لا يكون إلا عند نِسائى . ثم دعا بعُمارة ودعا بالسَّواحر فجرّدوه من ثيابه ، ثم أَمرهنّ ففخْن فى إحليله ، ثم خلّى سبيلَه . فخرج هارباً هائماً على وجهه مع الوَحش ، ومتى رأى الإنس هَرب منهم ، وطَلع له شَعرٌ غطَّى جميع بَدنه . ولم يزل كذلك مُدةَ أيّام النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، وأيامَ أبى بكر رضى الله عنه ، وصدراً من خلافة عُمر رضى الله عنه . فخرج إليه ابنُ عمّه عبد الله بن أبى رَبيعة ـ وكان اسمه قبل أن يُسلم « بَحيراً » ، فسمّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبدَ الله ـ فرَصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِده مع الوحش، إذا وردْنه . فلما وَجد ريح الإنس هَرب ، حتى إذا أجهده العطشُ وَرد فشَرِب حتى تَملَّأ [2] . وخَرجوا فى طلبـه . قال عبدُ الله بن أبى رَبيعـة ، فسعَيْتُ إليه فالتزمتُه ، فجعل يقول لى : يا بَحير ، أَرْسـلنى فإنى أَموت إن أَمسكتمونى . قال عبدُ الله : فضَبَطْتُه ، فمات فى يدى مكانَه ، فواريتُه ثم انصرفتُ .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: « لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد مثله قط من العرب ونلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا » .

(٢) تملأ : امتلأ .

شعر لعمرو فى ذلك

وقال عمرو بن العاص ، يذكر عُمارة بن الوليد وما صَنع :

تَعلّم عُمـــارَ أنّ من شَرِّ شيمةٍ ... لمثلك أنْ يُدْعَى ابنُ عمٍّ له ابنَمَا
فإن كنتَ ذا بُرْدَيْن أحوَى مُرَجَّلاً ... فلستَ براعٍ لابن عمِّك مَحْرَما
إذا المـرءُ لم يترك طعـاماً يُحبُّه ... ولم يَنْهَ قلباً غاوياً حيثُ يَمَّما
قضَى وَطراً منـه يَسيراً وأصبحت ... إذا ذُكرتْ أمثالُهـا تملأُ الفَما
فليس الفَتى (١) ولو أتمّت عـروقُه ... بذى كَرَمٍ إلّا بأن يتـكرَّما
فَمَـلّآنَ (٢) فانزِعْ عن مَطاعمَ جَمَّةٍ ... وعالجْ أُمورَ المَجـد لا تتندَّما

(١) أتم الشيء : اكتمل وبلغ الغاية . والعروق : الأصول والأحساب ؛ الواحد : عرق .
(٢) فلآن : أى فن الآن ، فحذف ووصل .

أخبار امرئ القيس الكندى (*)

نسبه

ذكر ابن الكلبيّ أنه امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو المَقْصور ابن حُجر آكل المُرار بن عَمرو بن مُعاوية بن الحارث بن يَعرُب بن ثور — وثَور هو كِندة — بن مُرتِّع بن عُفَير بن الحارث بن مُرَّة بن عديّ بن أُدَد بن زيد ابن يشجب بن عَريب بن زيد بن كَهلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحطان.

وقيل غير ذلك.

أمه

وأُمه فاطمةُ بنت رَبيعة بن الحارث بن زُهير، أُخت مُهلهل وكُليب، أبنى رَبيعة التغلبيَّيْن. وقيل: إنها مَذْحجيّة. وقيل: إنها كندية.

كنيته ولقبه

ويكنى امرؤ القَيس أبا وَهْب. ويقال له: المَلِك الضِّلِّيل، وذو القُروح.

شيء عن تسمية أجداده

وإنما سُمى «ثَور»: كندة، لأنه كَند أباه، أى عَقَّه.

وإنما سُمى «مُرتِّع»: مُرتِّعاً، لأنه كان يَجعل لمن أتاه من قومه مَرْتعاً لماشيته.

وإنما سُمِّى «حُجر»: آكلَ المُرار، لأنه لما أتاه الخبرُ بأمر الملك الحارث بن جَبلة كان رأسه فى حِجْر امرأته وهى تَفْليه، فجعل يأكل المُرار — وهو نَبت شديد المرارة — غيظاً وحَنقا.

وقيل: سُمِّى بذلك، لأنّ هنداً زوجة الحارث قالت له: كأنك بحُجر قد أدركك فى الخيل، وهو كأنّه بعيرٌ يأكل المُرار.

(*) ساق قبل هذا أبو الفرج «الأرمال الثلاثة المختارة». ومثلها مما تخفف منه صاحب التجريد.

وإنما سُمِّىَ عمرو : « المقصور » لأنه قُصر على مُلك أبيه ، أى أُقعد فيه كَرْهاً .

منزل امرئ القيس

وكان امرؤ القيس يَنزل المُشَقَّر باليمامة . وقيل : بل كان ينزل فى حِصْن بالبحرين .

الحارث بن عمرو ومزدك

وكان جَدُّه الحارثُ بن عَمرو مَلِكاً شديدَ المُلك بعيدَ الصَّوت ، وكان مَلَكَ الفُرس فَيروزُ بن يَزْدَجرد بن بَهرام حور ، ثم هلك وولى بعده ابنه قُباذ بن فَيروز ، أبو كسرى أنو شِرْوان . وظَهر فى أيّامه رجلٌ يقال له : مَزْدك . فدَعا إلى الزَّندقة ، وأن تكونَ الأموالُ والنِّساء مُشتَركا فيها بين الناس ، وألاّ يَمنع واحدٌ من الناس أخاه ما يريد من ذلك ، وأباح المُحرَّمات . فدخل قُباذ ملك الفرس فى دينه ، فعَظُمت البليّة بذلك . وذُكر أن أُم أنو شِروان كانت يوماً بين يدى زوجها الملك قُباذ ، فدخل عليه مَزْدك ، فلما رأى أُمَّ أنو شروان أعجبتْه ، فقال لقباذ المَلك زَوْجها : أدْفعها إلىّ لأطأها . فقال : دونَكها . فَوثب إليه أنو شروان ابْنُها ، فلم يَزل يسأل مَزْدك ويتضرع إليه أن يَهب له أُمَّه ، حتى قَبَّل رجلَه ، فتركها له . وبقيتْ تلك فى نفس أنو شروان . فلما هلك قُباذ وقام بالمُلك أنو شروان لم تكُن له همّة إلاّ قَتْل مَزْدك ومن اتبعه من الزّنادقة .

أنو شروان و مزدك

وكان المُنذر بن ماء السماء عاملاً على الحِيرة ونواحيها . وكان قُباذ لمّا دخل فى الزَّندقة دعاه إليها فأَبَى ، فدعا إلى ذلك الحارثَ بن عمرو ، جدَّ امرىء القيس ، فأَجابه إلى الدُّخول فى الزَّندقة . فشدَّد له قُباذ مُلْكه ، وأَطْرد [1] المُنذر عن مَملكته .

فلما مات قُباذ وجلس ابنُه أنو شروان فى مجلس مُلكه ، وكان اسْمه خُسْرو ، دَخل عليه مَزدك ، ثم دخل عليه المُنذر بن ماء السماء ، ووُجوه أهل مملكته .

(١) أى أمر بطرده .

فقال أنو شروان : إنى كنتُ تمنَّيت اثنتين ، أرجو أن يكون الله جلّ وعزّ قد جمعهما لى . فقال مَزدك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجلَ الشريف — يعنى المنذر — وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك : أَوَ تستطيع أن تَقْتُل الناس جميعاً ؟ فقال : و إنّك لها هنا يا بن الزَّانية ! والله ما ذهب نَتْن ريح جَوْرِك من أنفى من يوم قبَّلت رجلَك إلى يومى هذا ! ثم أمر بقَتْله . فقُتِل وصُلب . وأمر بقَتل الزَّنادقة . فقَتل منهم ما بين جازر [1] والنَّهروان إلى المَدائن فى ضَحوة واحدةٍ مائةَ ألفِ إنسان وصَلبهم . وسُمِّى يومئذٍ أنو شروان .

أنوشروان والحارث ابن عمرو وشعر امرىء القيس فى ذلك

وطلب أنو شروان يومئذٍ الحارثَ بن عمرو ، جدَّ امرىء القَيس . فبلغه ذلك وهو بالأنبار ، فخرج هاربًا فى هَجائنه وماله وولده ، وتَبعه المُنذر بن ماء السماء فى الخَيل من تَغْلِب و إياد وبَهْراء . وأخذت بنو تَغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بنى آكل المُرار ، فقدِموا بهم على المُنذر ، فضُربت رقابُهم . فذلك قولُ عمرو بن كُلْثوم :

فآبُوا بالنِّهاب و بالسَّبايَا ... وأُبْنا بالمُلوك مُصفَّدينا

وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوكٌ من بنى حُجْرِ بن عمرو ... يُساقُون العَشيَّةَ يُقْتَلونا
فلو فى يوم معركةٍ أُصيبوا ... ولكنْ فى دِيار [2] بَنى مَرِينا
فلم تُغْسل جماجمُهم بِغسْلٍ ... ولكنْ فى الدِّماء [3] مُرَمَّلينا
تَظَلُّ الطَّيرُ عاكفةً عليهم ... وتَنتزع الحواجبَ والعُيونا

موت الحارث ابن عمر

ومَضى الحارثُ فأقام بأرض كَلْب . فكلب تزعمُ أنهم قتلوه ، وعُلماء كِنْدة تزعمُ أنه خَرج إلى الصَّيد فألظَّ [4] بتَيْس من الظباء فأعجزه ، وآلَى أَلِيَّةً

(١) جازر : قرية من نواحى النهروان .
(٢) بنو مرينا : من أهل الحيرة .
(٣) الغسل : ما يغسل به . ومرملين : ملطخين .
(٤) ألظ به : ألح عليه ليصطاده .

ألّا يأكل أوّلَ أكلةٍ[1] إلّا من كَبده . فطلبته الخيلُ ثلاثاً ، فأُتِى به بعد ثالثة وقد هلك جُوعاً ، فشُوى له بَطنُه ، فتناول فِلْذةً من كبده ، فأكلها حارّةً فمات .

ملك حجر

وذُكر أنّ الحارث لمّا هَلك مَلك وَلدُه حُجْر بن الحارث على بَنى أسد وغَطَفان ، وشُرَحْبيل على بكر بن وائل ، وأخوهما مَعد يكرب على تَغْلب والنَّمِر ابن قاسط وغيرهم .

حجر وبنو أسد

وكان لحُجْر بن الحارث ، أبى امرىء القَيْس ، إتاوةٌ على بنى أسد يَحملونها إليه فى كُل سنة لمؤُونته[2] . فعَمِر[3] بذلك دَهراً ، ثم بعث إليهم جابيَه الذى كان يَجْبيهم ، فمَنعوه ذلك وضَربوه ، وحُجر يومئذ بتهامةَ ، وضَربوا رُسُلَه وضَرّجوهم بدِمائهم . وبلغ ذلك حُجْراً ، فسار إليهم بجُندٍ من ربيعة وجُندٍ من جُند أبيه من قَيس وكِنانة ، فأتاهم فأَخذ سَراتَهم ، وجعل يقتُلهم بالعَصا ، وأباح الأموال ، وسيّرهم[4] إلى تِهامةَ ، وآلى ألّا يُساكنوه أبداً فى بَلدٍ ، وحَبس منهم عمرو ابنَ مَسعود بن كَلدة[5] ، وعَبيدَ بن الأَبرص . فسارت بنو أسد ثلاثاً . ثم إنّ عَبيد بن الأَبرص أنشده :

يا عينُ فابْكِى ما بَنِى ... أسدٍ فهم أهلُ النَّدامهْ
أهلَ القِباب الحُمْر والنَّـ ... ـعم المُؤثَّل[6] والمُدَامه
وذَوى الجِياد الجُرْدِ والْـ ... أَسَلِ المُثقَّفة المُقَامه
فى كُلِّ وادٍ بين يَثْـ ... ـرِبَ والقُصور إلى اليَمامه

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « ألا يأكل أولا إلا من كبده » .
(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره « مؤقتة » . والمؤونة : هى ما يتكلف من القوت .
(٣) عمر : عاش . وفى بعض أصول الأغانى : « فغبر » أى لبث وبقى .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وصيرهم » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « بن كندة » .
(٦) المؤثل : المزكى . وفى بعض أصول الأغانى : « المؤبل » هو المقتنى .

تَطَرِيبُ عانٍ أو صِيا ح مُحرَّقٍ أو صوتُ هامه
إمَّا تركتَ تركتَ عَفْـ ـواً أو قَتلتَ فلا مَلامـه
أنت المليـكُ عليهمُ وهمُ العَبِيـدُ إلى القِيامه

مقتل حجر

فرقّ لهم حُجر حين سمع قولَه ، فبعث فى إثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مَسيرة يومٍ من تِهامة تكهّن كاهنُهم ، وهو عوفُ بن رَبيعة بن عامر[1] الأسدىّ ، فقال : مَن الملك الصَّلْهب[2] ، الغلّاب غير المُغلَّب ، هـذا دَمُه يَنْشَعِب[3] ، وهو غداً أولُ من يُسْلَب ؟ فقالوا : ومَن هو هو يا ربَّنـا ؟ فقال : لولا أن تَجيش[4] نفسٌ جائشـة لأخبرتكم أنه حُجر ضاحية[5] . فركبوا كُلَّ صَعْب وذَلول حتى انتهَوْا إلى عَسكر حُجر ، فهجَموا على قُبَّته ، وكان حُجَّابه من بنى الحارث بن سَـعد ، وكان حُجر قد أعتق أباهم من القَتل ، فلمـا نَظروا إلى بنى أسد يُريدون قتـلَه ، جَثَموا عليـه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عِلْباء بن الحَارث الـكاهلىّ ، وكان حُجر قد قتل أباه ، فطَعنه من خَلَلهم فأصاب نَسَاه[6] فقتله . فلمّا قتلوه قالت بنو أسد : يا معشر كِنانة وقيس ، أنتم إخوانُنا وبنو عَمِّنا ، والرجلُ بعيدُ النَّسب منّا ومنكم ، وقد رأيتُم سِيرتَه وما كان يَصْنع بكم هو وقومُه . فانتهبُوهم ، فشدُّوا على هَجائنـه فمزّقوهـا ، ولفُّوه فى رَيْطة بَيْضاء وطرحوه على ظهر الطَّريق . فلمـا رأته قيسٌ وكنانة انتهبوا سلاحَه[7] ، ووثب عمرو بن مسعود فضمّ عيالَه وقال : أنا لهم جارٌ .

وقد رَوى أبو الفرج فى كيفيّة قتله وسببه رواياتٍ غيرَ هذه ، لـكنّنى اقتصرتُ على إحدى الرِّوايات طلباً للاختصار .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سوادة » .
(٢) الصلهب : الطويل . وفى بعض أصول الأغانى : « الأصهب » .
(٣) ينشعب : يجرى .
(٤) تجيش : ترتاع . وفى بعض أصول الأغانى : « تجيش نفس جاشية » .
(٥) ضاحية : علانية . (٦) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين .
(٧) فى الأغانى : « أسلابه » .

كتاب حجر إلى أولاده وما كان من امرئ القيس

وذُكر أنّ حُجر بن الحارث لمّا طُعن كتب كتاباً ودَفعه إلى رجل وقال : أنطلق إلى أبنى نافع ، وكان أكبر بَنيه ، فإن بَكى وجَزع فأَلهُ عنه . واُستَقْرِهم واحداً واحداً حتى تأتىَ إلى اُمرىء القيس ، وكان أصغَرهم ، فأيّهم لم يَجزع فادفع إليه خَيْلى وسِلاحى وقُدورى ووصِيّتى . وقد كان بَيَّن فى وصيّته مَن قتله وكيف كان خَبره .

وقَضى حُجر نَحْبه ، فأنطلق الرجلُ بوصيّته إلى نافعٍ أبنه. فأخذ التراب فوضعه على رأسه . ثم اُستقراهم واحداً واحداً ، فكُلّهم فعل مِثْل ذلك ، حتى أتى اُمرأ القَيس ، فوجده مع نَديم له يَشرب الخَمر ويلاعبه بالنَّرد ، فقال : قُتِل حُجْر . فلم يَلتفت إلى قوله . فأمسك نديمُه . فقال له اُمرؤ القيس : اُضرب . فضَرب ، حتى إذا فرغ قال له : ما كُنت لأُفسد عليك دَسْتَك. ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه . فأخبره . فقال : الخمرُ علىّ والنِّساء حَرام حتى أَقتُل من بنى أَسد مائة . وفى ذلك يقول :

أرقتُ ولم يأرَقْ لذلك[1] نافعُ وهاج لى الشوْقَ الهُمومُ الرَّوادِعُ

وذُكر أن حُجْراً كان طَرد اُبنه اُمرأ القَيس وآلَى ألّا يُقيم معه ، أنفةً من قوله الشِّعر . وكانت المُلوك تأنَف من ذلك . فكان يسير فى أحياء العَرب من طيئٍ وكَلْب وبَكْر ، فإذا صادف غَديراً أو رَوضة أو موضع صَيْد أقام ، فذَبح لمن معه فى كُل يوم ، وخَرج إلى الصيد فتصيّد ، ثم عاد وأكل وأكلوا معه ، وشَرب الخمر وسقاهم وغنّته قِيانُه ، ولا يزال كذلك حتى يَنفَد ماء الغدير ثم ينتقل إلى غَيره . فأتاه خبرُ أبيه ومَقتله ، وهو بدَمُّون من أرض اليمن ، فلما أخبره المُخبر بقَتله ، قال :

تَطاولَ الليلُ على دَمُّونْ دَمُّونُ إنّا مَعشرٌ يَمانونْ

وإننا لأَهلها مُحِبُّونْ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لما بى » .

ثم قال : ضَيَّعنى صغيراً ، وحَمَّلنى دمَه كبيراً ، لا صَحْو اليوْم ولا سُكْر غداً . اليومَ خَمْرٌ وغداً أمر . فذَهبت مثلاً . ثم قال :

خَلِيلَيّ لا فى اليَوم مَصْحًى لشـــارب ولا فى غـدٍ إذ كان ما كان يُشْرَبُ

ثم شَرِب سبعاً ، فلما صحَا آلَى ألّيـــة ألّا يأكل لحماً ، ولا يَشرب خمراً ، ولا يَدَّهن بدُهن ، ولا يَغْسِلَ رأسه من جَنـابة حتى يُدرك بثأره . فلما جَنَّه الليلُ رأى بَرْقاً ، فقال :

أَرِقتُ لـبرقٍ بليـلٍ أَهَلّْ يُضىء سَـنَاه بأعلَى الجَبَـلْ
أَتانى حـديثٌ فـكذَّبتُـه بأمرٍ تَزَعزعُ منـه[1] القُلَل
بقَتْـل بنى أَسـدٍ ربَّهم ألَا كُل شىءٍ سواه[2] جَلَل
فأين رَبيعـةُ عن ربّهـا وأين تَميمٌ وأين الخَوَل
ألَا يَحضُرون لدَى بابه كما يَحضُرون إذا[3] ما اُستَهَلّْ

وذُكر أنه لما قُتل حُجر بن الحارث انحازت ابنته هِنْد وقَطِينُه[4] إلى عُوَيْر ابن شَجْنة . فقال له قومُه : كُلْ مالهم فإنهم مأكولون . فأبَى . فلما كان الليلُ حَمل هنـداً بنت حُجر وقَطِينَها ، وأخذ بخِطام جَملها وسار بهم[5] فى ليلة طَخْياء مُدْلهمّة . فلما أضاء البرقُ أبدَى عن ساقيْه ، وكانتا حَمْشَتَيْن[6] . فقالت هند بنت حُجر : ما رأيتُ كالليلة ساقَىْ وافٍ . فسمعها فقال : يا هند ، هما ساقا غادرٍ شرّ . فرمَى بها الفِجاجَ[7] حتى أطلعها نَجران ، وقال لها : إنِّى لستُ أُغنى عنك شيئاً

(١) القلل : رءوس الجبال ؛ الواحدة : قلة .
(٢) جلل ، هنا بمعنى هين .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إذا ما أكل » مكان « إذا ما استهل » .
(٤) القطين : الآباء والأتباع والحشم .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « وأشأم بهم » .
(٦) أى دقيقتين .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « النجاد » .

وراء هـذا الموضع ، وهؤلاء قومُك ، وقد برئتْ خَفارتى . فمدَحه امرؤ القيس فى قصيدة ، منها :

عُوَيرٌ ومَن مثلُ العُوير ورَهْطِه ... أَبرَّ بأيمانٍ[1] وأوفَى لجِيرانِ
هُمُ أَبْلغُوا الحىَّ المُضَيَّع أهلَه ... وساروا بهم بين الفُرات ونَجران

انتصاره لأبيه

قيل :

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل ببنى بكْر وتغلب ، فسألهم النَّصر على بنى أَسد قتَلةِ أبيه ، فأَجابوه . فبَعث العُيونَ على بنى أَسد ، ونَذِروا بالعُيون فلجئوا إلى بنى كِنانة ، وكان الذى أَنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم عِلْباء : يا مَعشر بنى أَسد ، تعلمون والله أنّ عُيون امرىء القيس قد أتوْكم ورَجعوا بخبركم ، فارحلوا بليل ولا تعلم بكم بنو كِنانة . ففعلوا . فأَقبل امرؤ القيس بمن معه من بكْر وتَغلب حتى انتهى إلى بنى كِنانة ، وهو يَحسبهم بنى أسد . فوضع السلاحَ فيهم ، وقال : يا لثَارات المَلِك ! يا لثارات الهُمام ! فخرجت عليه عَجوزٌ من كِنانة فقالت : أَبيت اللَّعنَ ، لَسْنا لك بثأر ، إنما نحن بنو كنانة ، فاطلب بثأرك ، فإن القوم قد ارتحلوا بالأَمس . فقال امرؤ القيس :

ألا يا لَهْف هِنْدٍ إثْر قوم ... هُمُ كانوا الشِّفاء فلم يُصابُوا
وقاهم جَدُّهم ببنى أَبيهم ... وبالأَشْقَيْنَ[2] ما كان العِقاب

فاتبع امرؤ القيس آثار بنى أَسد ، فلما أَصبح رأى آثارهم مُنطلقين ، فاتبع آثارهم فأَدركهم ظُهراً ، وقد تقطَّعت خيلُه واشتدّ به وبأَصحابه العطش ، وبنو أسد جاثمُون[3] على الماء ، فقاتلهم حتى كثُرت الجَرحى والقَتْلى ، وحَجز الليلُ بينهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بميثاق » .
(٢) الجد : الحظ . والأشقين : جمع : أشقى . يريد بنى كنانة ، الذين وقع بهم العقاب.
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « جامون » أى مجتمعون مستريحون .

وهَربت بنو أسد . فلما أصبحت بَكْرٌ وتَغْلب أبَوْا أن يتَّبعوهم وقالوا لأمرىء القيس : قد أصبتَ ثأرك . فقال : لا والله ، ما فعلتُ ولا أصبتُ من بنى كاهل ولا مِن غيرهم ولا[1] بنى أسد أحداً . قالوا : بلى والله ، ولكنك رجلٌ مَشْئوم . وكرهوا قتالَهم بنى أسد وانصرفوا عنه . ومَضى امرؤ القَيس هارباً على وجهه ، حتى لَحق بحِمْير ، فنزل بقَيْل يُدْعى : مَرْثد الخَير بن ذى جَدَن الحِمْيرى ، وكانت بينهما قَرابة ، فاستنصره واستمدّه على بنى أسد . فأمدَّه بخمسمائة رجل من حِمْير . ومات مَرْثد قبل رَحيل امرىء القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجلٌ يقال له : قَرْمَل ابن الحميم . وكانت أمّه أَمَةً سَوداء ، فردَّد امرأ القَيس وطَوَّل عليه حتى هَمّ بالانصراف ، فقال :

وإذ نحن نَدْعو مَرْثَد الخير ربَّنا ... وإذ نحنُ لا نُدْعَى عبيداً لقَرْمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ . واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم إلى بني أسد، ومرّ بتَبالةَ ،[2] وبها صنمٌ للعرب تُعظِّمه، يقال له : ذو الخَلَصة ، فاستقسم عنده بقِداحه — وهى ثلاثة : الآمر، والناهى ، والمتربِّص — فأجالها ، فخرج الناهى . ثم أجالها ، فخرج الناهى . فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصَّنم وقال له: مَصِصتَ بَظْر أُمك ! لو أبوك قُتل ما عوَّقْتنى ! [3] ثم خرج فظفِر ببنى أسد . فيقال : إنه ما استقسم عند ذى الخَلَصة أحدٌ بقِدْح بعد ذلك ، حتى جاء الإسلام ، وهَدمه جرير بن عبد الله البَجَلىّ .

طلبه المنذر فهرب حتى انتهى إلى السموءل

قيل :

وألحّ المُنذرُ بن ماء السماء فى طَلب امرىء القيس ، ووجَّه بالجيوش فى طلبه ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : من » مكان « ولا » .
(٢) تبالة : على مسيرة سبع ليال من مكة . (ياقوت) .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ماعقتنى » .

من إياد وبَهْراء وتَنُوخ، وأمدّه كِسْرى أنو شَرْوان بجيشٍ من الأساورة، فسرَّحهم فى طلبه. وتفرّقت عن امرىء القيس حِمْيرُ ومن كان معه، فمَضى فى عُصبة من بنى آكل المُرار حتى نَزل بالحارث بن شِهاب اليَرْبوعىّ، ومع امرىء القيس أدراع خمس [1] — وهى الفَضْفاضة، والضَّافية، والمُحصَّنة، والحريق، [2] وأم الذيول — كُنَّ لبنى آكل المُرار يتوارثونها ملكاً عن ملك. فما لَبِث عند الحارث ابن شِهاب إلا قليلاً حتى بَعث إليه المُنذر بن ماء السماء مائةً من أصحابه يتوعّده الحربَ إن هو لم يُسلم إليه بنى آكل المُرار [3]. فأعلمهم الحارثُ بذلك [3]. ونجا امرؤ القيس، ومعه يزيدُ بن مُعاوية بن الحارث، وبنتُه هِنْد بنت امرىء القَيس، والسلاحُ. فخَرج على وجهه حتى وَقع فى أرض طيئ. وقيل: نزل قبلَهم على سَعد بن الضِّباب الإيادىّ سيِّد قومه، فأجاره. وكانت أمّ سَعد تحت حُجر المَلِك، أبى امرىء القَيس، فطلَّقها، وكانت حاملاً بسَعد وهو لا يَعلم، فتزوّجها الضِّباب، فولدت سعداً على فراشه، فلَحِق به. فقال امرؤ القيس بن حُجر يذكر ذلك:

يُفاكهنا سعدٌ ويُنْعِم بالَنا ... ويَغْدُو علينا بالجِفَان وبالجُزُرْ
ونَعرف فيه من أبيه شمائلاً ... ومِن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُر
سماحةَ ذا وحِلْمَ [4] ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِر

ثم تحوّل امرؤ القيس عَنهم فنَزل بأرض طيئ على رجل من بنى جَدِيلة، يقال له: المُعلَّى بن تَيْم. ففى ذلك يقول:

كأنى إذ نزلتُ على المُعلَّى ... نزلتُ على البَواذخ من [5] شَمَام

(١) هذه رواية التجريد. وفى غيره: «خمسة». والدرع، التى هى لبوس الحديد، تذكر وتؤنث.
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «والخربق». وفى بعض آخر: «والخريق».
(٣) — (٣) مكان هذه العبارة فى الأغانى: «فأسلمهم».
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «وبر».
(٥) شمام: جبل لباهلة.

فما مَلِكُ العِراق على المُعَلَّى بمُقتدرٍ ولا مَلِكُ الشَّآم
أَقرَّ حَشَى أمرىء القيس بن حُجْرٍ بنو تَيْمٍ مَصابيحُ الظلام

فلبث أمرؤ القيس عنده وأتخذ إبلاً هناك . فعَدا قومٌ من بنى جَدِيلة ، يقال لهم : بنو زيد ، فطَردوا الإبل ، وكان لامرىء القيس رواحلُ مُقيَّدة عند البُيوت ، مخافةَ أن يَدْهَمه أمرٌ ليَسبِق عليهن . فخرج حينئذٍ فنزل على بنى نَبْهان من طيئ . فخرج نَفرٌ منهم فركبوا الرَّواحل ليطلُبوا الإبل ، فأَخذتهن جَدِيلة ، فرجعوا إليه بلا شىء . فقال فى ذلك :

وأعجبنى مَشْىُ الحُزقةِ خالدٍ كمَشْى أتانٍ حُلِّئت عن[1] مَناهلِ
فدَعْ عنك نَهباً صِيحَ فى حَجَراته ولكن حديثاً ماحديثُ[2] الرَّواحل

ففرَّقت عليه بنو نَبْهان فِرْقاً[3] من مِعزًى[4] يحتلبها . فأَخذ ذلك وأنشأ يقول :

إذا ما لم يكُن[5] إبلٌ فمِعْزًى كأنّ قُرون جِلّتها[6] العِصِىُّ
إذا ما قام حالُبها[7] أَرنَّت كأنّ القوم صَبَّحهم نَعِىُّ
فتملأ بيتَنا أَقِطاً[8] وسَمْناً وحَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

---

(١) الحزقة : القصير يقارب الخطو . وحلئت : طردت ومنعت . والرواية فى الأصل : « عجبت له يمشى الحبقة » . والحبق ، بالقصر : ضرب من السير . ولم يسمع « الحبقة » .

(٢) الحجرات : النواحى . والرواحل : الإبل . وصدر البيت مثل للعرب ، يضرب لمن ذهب من ماله شىء ، ثم ذهب بعده ما هو أجل منه . يقول : دع النهب الذى نهب من نواحيك وحدثنى حديث الرواحل التى ذهب بها ما فعلت .

(٣) الفرق : القطيع يكون دون المائة .

(٤) الأرجح أن ألف « معزى » للإلحاق فتصرف ، وتكون للتأنيث فلا تصرف .

(٥) فى الأغانى : « إذا ما لم يجد » .

(٦) الجلة : المسان .

(٧) أرنت : صوتت ، أى المعزى . وقد يكون ذلك عن صوت اللبن وهو يقع فى الإناء من كثرته .

(٨) الأقط : شىء مثل الجبن يتخذ من اللبن المخيض .

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَين وأتخذ عنده إبلاً . وكان عامر أحد الخُلعاء الفُتّاك ، قد تبرّأ قومُه من جرائره . فهمّ عامرٌ أن يَغْلِب امرأ القيس على أهله وماله ، وفَطِن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به ، وهو :

فكم بالصَّعيد من هِجَانٍ مُؤَبَّلَهْ تَسير صِحَاحاً ذاتَ قَيْدٍ ومُرْسَلَهْ
أردتُ بها فَتْكاً فلم أَرْتَمِضْ (١) له ونَهْنَهتُ نفسى بعد ما كدتُ (٢) أَفْعَلَه

وعرَّض عامر أيضاً بهند بنت امرىء القيس بقوله :

ألا حَيِّ هنداً وأطلالَها وتَظْعانَ هِنْدٍ وتَحْلالَها
هَممتُ بنفسى كلَّ الهموم فأَوْلَى لنفسىَ أولى لَهَا
سأَحمل نَفسى على (٣) آلةٍ فإمّا عليها وإمّا لها

وقد قيل : إنّ الشعر للخَنساء . والله أعلم .

قيل :

فلمّا عَرف امرؤ القيس ذلك من عامر ، وخافه على نفسه وماله وأهله ، تَغفَّله ، ثم انتقل إلى رجل من بنى ثُعَل يقال له : حارثةُ بن مُرّة (٤) فاستجار به منه . فوقعت الحربُ بين عامر و بين ثُعَل ، فكانت فى ذلك أمورٌ كثيرة . فخَرج امرؤ القيس فنَزل برجُل من فَزارة يقال له : عمرو بن جابر ، فطَلب الجِوارَ حتى يَرى ذاتَ عَيْبه (٥) ، فقال له الفَزارىّ : يابن حُجْر ، إنّى أَنفَس (٦) بمثلك من

(١) لم أرتمض : لم أحزن .
(٢) نصب الفعل « أفعله » على تقدير « أن » .
(٣) الآلة : الحالة .
(٤) فى غير التجريد : « حارثة بن مر » .
(٥) أى ينظر فى أمره و يصلح من شأنه .
(٦) أنفس : أضن .

أهل الشَّرف ، وقد كدتَ أمسِ تُؤكل فى دار طيئ ، وأهلُ الباديه أهلُ بَزّ[1] ، لا أهلُ حُصون تَمنعهم ، وبَينـك و بين اليمن ذُؤبانٌ من قَيس ، أوَلا أدلّك على بَلد ؟ فقد جئتُ قَيصر وجئتُ النُّعمان ، فلم أرَ لضيفٍ نازلٍ ولا لُمجتد مثلَه ولا مثلَ صاحبه .

قال : ومن هو ؟ وأين منزله ؟ قال : السَّموءلُ ، وهو بتَيماء ، وهو يَمنع عنك حتى ترَى ذات عَيبك، وهو فى حِصْن حَصين . فقال أمرؤ القيس : وكيف لى به ؟ فقال : أُوصلك إلى مَن يُوصلك إليه . فصَحبه إلى رجـل من بنى فَزارة يقال له : الرّبيع[2] بن ضَبُع . فأوصله الرَّبيعُ إلى السموءل . فأكرم السموءلُ أمرأ القيس ، وضَرب لابنته هِنـد قُبةً ، وأنزل القومَ فى مجلس له بَرَاحٍ . وكان عنده ما شاء الله .

انتهاؤه إلى قيصر وحديثه معه

ثم إنّ امرأ القيس طَلب من السموءل أن يكتُبَ له إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسّانى بالشام أن يُوصله إلى قَيصر . فأصحبه رجلاً يُوصله إليـه ، وأستودع أمرأ القيس السموءلَ بن عاديا أبنته والأدراعَ والمـالَ . وأقام معها يزيدُ بن معاوية ابن الحارث ، ابن عمه، ومَضى أمرؤ القيس إلى الحارث ، فبعَثه الحارث إلى قيصر .

قلت :

وفى ذلك يقول أمرىء القيس .

بَكى صاحبى لمّا رأى الدَّرْب دونَه ... وأيقن أنّا لاحِقانِ بقَيْصَرَا

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنمـا ... نُحاول مُلْـكاً أو نَمُوت فنُعْذرَا

قيـل :

ولما وصل أمرؤ القيس إلى قيصر ملكِ الروم ، قَبِـله وأكرمه ، وكانت له

(١) هذه رواية التجريد . والبز : السلاح يدخل فيه : الدرع والمغفر والسيف . يريد أن وزرهم سلاحهم لا معاقل ولا حصون . والرواية فى غير التجريد : « أهل بر » بالراء المهملة .

(٢) ذكر الذهبى فى المشتبه أنه مختلف فيه ، هل هو بضم الراء أو فتحها .

عنده منزلةٌ ، فاندسّ رجلٌ من بنى أسد ، يقال له : الطمّاح ، وكان امرؤ القيس قتل أخًا له من بنى أسد ، حتى أتَى بلادَ الروم فأقام هناك مُسْتخفياً . ثم إن قَيصر ضَمّ إلى امرىء القيس جيشاً كبيراً ، وفيهم جماعةٌ من أبناء الملوك . فلما فَصل قال لقيصر قومٌ من أصحابه : إن العرب قَومُ غَدر ولا نأمن أن يَظفر بما يُريد فيغزوك بمن بعثت معه .

وقيل : بل الطمّاح الأسدى قال لملك الروم : إن امرأ القيس غَويٌّ عاهر ، وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يُراسل ابنتك ويُواصلها ، وهو قائل فى ذلك أشعاراً يشهّرها بها فى العرب فيَفْضحها ويفضحك . فبعث إليه الملك حينئذ حُلّةً من وشى مَنسوجة بالذّهب مَسمومة ، ثم قال : إنى أرسلتُ إليك بحُلّتى التى كنتُ أَلبسها تَكْرمةً لك ، فإذا وصلتْ إليك فالبسها باليُمْن والبركة ، واكتب إلىّ بخَبرك من منزلٍ منزلٍ . فلما وصلتْ إليه لَبِسها واشتد سرورُه بها ، فأسرع فيه السّمُّ وسَقط جلدُه . فلذلك سُمِّى ذا القُروح ، وفى ذلك يقول :

لقد طَمح الطمّاح من بُعد أرضه ... ليُلْبِسنى من دائه ما[1] تَلبّسَا
وبُدِّلتُ قَرْحاً دامياً بعد صِحّة ... لعلّ مَنايانا تَحوَّلن أبْؤسا
فلو أنّها نفسٌ تَموت سَويّةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَط أنْفُسا

موته

فلما صار إلى بَلدٍ من بلاد الروم يُدعى : أَنْقِرة ، احتُضر بها . ورأى قبر امرأة من بنات المُلوك ماتت هناك فدُفنت فى سَفح جبل يقال له : عَسيب ، فسأل ، فأُخبر بقصّتها ، فقال :

أجارتَنا إنّ المَزار قريبُ ... وإنّى مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ
أجارتَنا إنّا غَريبان ها هنا ... وكُلّ غريبٍ للغَريب نَسِيب

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة ، فقبره هناك .

(١) هذه رواية الديوان والتجريد . وفى غيرهما : « مما يلبس أبؤسا » .

الشعر الذى فيه الغنـــاء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار أمرىء القيس ، هوقولُه :

* قِفَا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزل *

وأبيات أُخرى من هذه القصيدة ، وهى قصيدة يُضرب بها المَثل بشُهرتها ، فلا حاجة إلى ذكر شىء منها .

---

obeikandl.com

أخبار الأعشى الأكبر

نسبه — هو مَيمون بن قيس بن جَنْدل بن شَراحيل بن عَوف بن سَعد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسِط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار .

كنيته — ويكنى أبا بَصير .

شىء عن أبيه — وكان يُقال لأبيه قيسِ بن جَنْدل : قَتيلُ الجُوع . سُمِّى بذلك لأنه دَخل غاراً ليستظلّ به من الحرّ فوقعتْ عليه صخرةٌ عظيمةٌ من الجَبل، فسَدَّت فَم الغار، فمات فيه جُوعاً .

منزلته فى الشعر — وهو أحدُ الأعلام من شُعراء الجاهليّة وفُحُولها .

رأى يونس فيه — وسُئل يُونس النَّحوىّ : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : لا أُومىء إلى رجل بعَيْنه ، ولكن أقول : امرؤ القيس إذا غَضِب ، والنابغة إذا رَهِب ، والأعشى إذا طَرِب، وزُهير إذا رَغِب .

رأى أبى عبيدة — وقال أبو عُبيدة :

يَحتج مَنْ قَدَّم الأعشى بكَثرة طِواله الجيـاد ، وتَصرُّفه فى المَديح والهِجاء ، وسائر فُنون الشِّعر ، وليس ذلك لغيْره .

ويقـول :

هو أولُ من سأل بشِعْره ، وانتجع به أقاصى البلاد . وكان يُغنِّى فى شعـره ، فكانت العربُ تُسمِّيه : صَنَّاجةَ العرب .

للشعبى فيه — وحُكى عن الشَّعبى أنه كان يقول :

الأعشى أغزلُ الناس فى بيت واحد ، وأخنثُ الناسِ فى بيتٍ واحد ، وأشجعُ الناس فى بيت واحد :

فأمّا أغزلُ بيتٍ فقولُه :

غرّاء فرْعاء مَصْقولٌ عَوارضُها ... تَمْشِى الهُوَينَى كما يَمشى الوَجِى(١) الوَحِلُ

وأما أخنث بيتٍ فقولُه :

قالت هُريرةُ لمّا جِئْتُ زائرَها ... وَيْلِى عليك وَوَيْلى مِنْكَ يا رَجُلُ

وأما أشجعُ بيتٍ فقولُه :

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتُنا ... أَوْ تَنزلون فإنّا مَعشرٌ نُزُلُ

لحماد فيه

وسُئل حمّاد الراوية عن أشعر الناس(٢) ؟ فقال : الذى يقول :

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان مُتَّكئاً ... وقَهْوةً مُزَّةً راووقُها(٣) خَضِلُ

كان قدريا وكان لبيد مثبتا

وحَكى سِماك بن حَرْب قال : قال لى يحيى(٤) بن مَتّى ، راوية الأعشى ، وكان نَصرانيّا عِبَاديًّا مُعمَّرًا :

كان الأعشى قَدريًّا ،(٥) وكان لَبيد مُثْبِتاً . قال لَبيد :

مَن هَدَاه سُبُلَ الخير اهتدَى ... ناعمَ البالِ ومَنْ شاء أَضَلْ

وقال الأعشى :

أَستأثر اللهُ بالوَفاء وبالعَدْل ... وولَّى المَلامةَ الرَّجُلاَ

فقلت : مِن أين أخذ الأعشى مَذهبه ؟ قال : مِن قول العِباديِّين نَصارى الحيرة ، وكان يأتيهم يَشترى منهم الخمر ، فلقَّنوه ذلك كُلَّه .

---

(١) الوجى : من يجد ألماً فى رجليه إذا مشى . والوحل : الماشى فى الوحل .

(٢) فى الأغانى : « العرب » .

(٣) الراووق : المصفاة تصفى بها الخمر . وقد تطلق على الباطية ، أى إناء الخمر . وخضل : ندى .

(٤) رواية التجريد : « يحنس بن متى » .

(٥) القدرى : جاحد القدر ، ينكر أن الله تعالى قدر على عباده الشر .

اتصاله بالمحلق

وذُكر أنّه كان لأبى المُحلَّق شَرفٌ ، فمات وقد أتلف مالَه ، فبقى المُحلَّق — وهو وعبد العزيز بن حَتَم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبد الله بن عُبيد بن كِلاب — وثلاثُ أخواتٍ له ، ولم يترك لهم أبوهم إلاّ ناقةً واحدة وحُلَّتَىْ بُرود حِبَرة كان يَشهد فيهما الحُقوق . فأقبل الأعشى فى بعض أسفاره يُريد منزلَه باليمامة ، فنزل الماء الذى به المُحلَّق ، وقَراه أهلُ الماء فأحسنوا قِراه . فأقبلت عَمّة المُحلَّق إليه وقالت : يابن أخى ، هذا الأعشى قد نَزل ، وقد قَراه أهلُ الماء ، والعربُ تَزعُم أنه لم يَمدح قوماً قَط إلا رَفعهم ، ولم يَهْجُ قوماً قَطُّ إلاّ وضعهم ، فانظُر ما أقول لك : احتلْ فى زِقٍّ من خَمر من عند بعض التُّجار ، وأرسل إليه بهذه الناقة والزِّق وبُرْدَى أبيك ، فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسنام والخمرُ فى جوفه ، ونَظر إلى عِطْفيه فى البُرْدين ، ليقولَنّ فيك شعراً يَرفعك به . فقال : ما أَمْلِك غيرَ هذه الناقة ، وأنا أتوقّع رِسْلَها[1] . فأقبل يَدخل ويخرُج ويَهُمّ ولا يَفعل ، وكلما دَخل على عمّته حضَّته ، حتى دَخل عليها ، فقال: قد ارتحل الرجلُ ومَضى. فقالت : الآن والله أجودُ ما كان القِرَى ! تُتبعه ذلك مع مولَى أبيك فلان — مولًى له أسود شَيخ — فحيثما لَحقه أخبره أنك كنت غائباً عن الماء عند نُزوله إيّاه ، وأنّك لمّا وردتَ الماء فعلمتَ أنّه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِراه ؛ فإنّ هذا أحسنُ لِموقعه عنده . ولم تَزل تحُضُّه ، حتى أتى بعضَ التجّار فكلمه أن يُقْرِضه ثَمن زِقٍّ خمرٍ ، وأتاه بمن ضَمِن ذلك عنه ، فأعطاه . فوجَّه بالناقة والخمر والبُرْدين مع مولَى أبيه . فخَرج يَتبعه ، فكلّما مرّ بماء قيل: ارتحل أمسِ عنه . حتى صار إلى مَنزله[2] باليمامة ، فوَجد عنده عدّة فِتْيان قد غدّاهم بغَير لَحم ، وصَبّ لهم فَضِيخاً[3] فهم يَشربون منه ، إذ قُرِع الباب ،

(١) الرسل : اللبن .

(٢) أى منزل الأعشى .

(٣) الفضيخ : شراب يتخذ من البسر بعد أن يصب عليه ماء حار وتخرج حلاوته .

فقال : أنظُروا مَن هذا ؟ فإذا رسولُ المحلَّق يقول كذا وكذا . فدَخلوا عليه فقالوا: هذا رسول المُحلَّق الكلابيّ أتاك بكذا وكذا . فقال : ويحكم ! أعرابيٌّ ! والذى أرسل إلينا[1] لا قَدر له! والله لئن اعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر فى جَوفى لأقولنّ فيه شعراً لم أقُل مثلَه قط . فوثبه الفِتيان فقالوا : غِبْتَ عنّا فأطلتَ الغَيبة ، ثم أتيناك فلم تُطْعمنا لحماً وسقيتَنا الفَضيخ ، واللحمُ والخمرُ ببابك ! والله لا نَرضى بهذا منك ! فقال : ائْذنوا له . فأَذِنوا له . فدَخل فأَدَّى إليه الرِّسالةَ وأَناخ الجزور بالباب ووَضع الزِّق والبُرْدين بين يديه . فقال : أَقْرِه منِّى السلامَ وقل له : وصلتْــك رَحِم ، وسيأتيك ثناؤُنا . فقام الفِتْيان إلى الجزور فنَحروها ، وشَقُّوا خاصرتَها عن كبدها ، وجِلْدَها عن سَنامها ، ثم جاءوا بهما فأَقبلوا يَشْوُون ، وصَبُّوا الخمــر فشربوا ، وأكل معهم وشَرب ، ولَبِس البُرْدين ، ونَظر إلى عِطْفيه فيهما فقال :

أَرِقتُ وما هــذا السُّهادُ المُؤرِّقُ ... وما بِىَ من سُقْمٍ وما بى مَعْشَقُ
ولــكنْ أُرانى لا أَزال بحادثٍ ... أُغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأُطْرَق

ومنهــا :

لَعَمْرى لقد لاحتْ عُيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضَــوء نارٍ باليَفاع تَحرَّق
تُشَبُّ لمَقْرورَيْن يَصْطَليانهــا ... وبات على النّار النَّدى والمُحلَّق
رَضيعَىْ لَبانِ ثَدْىَ أُمٍّ تَحالفا ... بأَسْحَمَ داجٍ عَوْضُ[2] لانتفرَّق

حتى انتهى إلى قوله :

أبا مِسْمَعٍ سار الذى قــد فعلتُمُ ... فأَنجــد أقوامٌ به ثم أَعْــرقُوا
به تُوضع الأحلاسُ فى كل مَنزل ... وتُعقد أطرافُ النُّسوع[3] وتُطْلَق

(١) فى الأغانى : « إلى » . (٢) عوض : أى أبد الدهر .

(٣) الأحلاس : جمع حلس ، وهو مايوضع تحت الرحل بينه وبين ظهر المطية حتى لايؤذيها ؛ الواحد : حلس. وإذ رفع الحلس فقد رفع معه الرحل . يريد الإقامة والإراحة . والأنساع : السيور التى يشد بها الرحل ويربط . والرواية فى الديوان : به تنقض الأحلاس . وفى بعض أصول الأغانى : « به تعقد الأحمال » .

فشاع الشعرُ وسار فى العرب . فما أتتْ على المُحلق سنةٌ حتى زوَّج أخواتِه الثلاثَ ، كلُّ واحدةٍ منهن على مائة ناقة ، وأيسر وشَرُف .

خبر وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم

وذُكر أن الأعشى وفَد إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقد مَدحه بقصيدته التى يقول فيها :

ألم تَغتَمض عيناك ليلة أرْمَدَا ... وعادك ما عاد السَّليمَ (١) المُسهَّدَا
وما ذاك من عِشْق النِّساء و إنما ... تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ (٢) مَهْددا

وفيها يقول لناقته :

فآليتُ لا أرثِى لها من كَلالةٍ ... ولا من وَجًى (٣) حتى تُلاقى مُحمَّدا
متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشم ... تُراحِى وتَلْقَىْ من فواضِله يدا
نَبىٌّ يرى مالا تَرَوْن وذِكرُه ... أغار لعَمْرِى فى البلاد وأنْجدا

فبَلغ خبرُه قريشاً فرَصدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجة العرب ، ما مدح أحداً قطُّ إلاّ رَفع قَدره . فلمّا بلغه ورَد عليهم ، فقالوا : أين أردتَ أبا بَصير ؟ قال : أردتُ صاحبَكم هذا لأُسلم . فقالوا له : إنه يَنهاك عن خِلال ويُحرِّمها عليك ، وكُلُّها بك رافق ولك موافِق . قال : وما هُنّ ؟ فقال أبوسفيان بن حَرب : الزِّنا . قال : لقد تركنى الزِّنا وما تركتُه . ثم ماذا ؟ فقالوا : القِمار . قال : لعلِّى إن لقيتُه أصبتُ عِوضاً من القمار . ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنْتُ ولا أدَّنْتُ قطُّ . ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أوّه ! أرْجع إلى صُبابةٍ لى بقيتْ فى المِهْراس (٤) فأشربُها . فقال له أبو سفيان : هل لك فى خَير ممّا هممت به ؟ قال :

(١) الأرمد : الذى بعينيه وجع . والسليم : الذى لدغته الحية .
(٢) مهدد : معشوقته .
(٣) فى الديوان و بعض أصول الأغانى : « حفى » وهما بمعنى .
(٤) المهراس : حجر منقور يسع كثيرا من الماء .

وما هو؟ قال: نحن وهو الآن فى هُدْنة، فتأخذ مائةً من الإبل وترجع إلى بلدك سَنَتك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرُنا، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذتَ خلفاً، وإن ظَهر علينا أتيتَه. فقال: ما أكره ذاك. فقال أبو سفيان: يا معشر قُريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً واتّبعه ليُضرمَنَّ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فاجمعوا له مائةً من الإبل. ففعلوا. فأخذها وانطلق إلى بلده. فلما كان بقاع مَنْفوحَةَ[1] رَمى به بعيرُه فقتله.

قبره

وحكى سُليمان النَّوفلى قال:

أتيتُ اليمامةَ والياً عليها، فمررتُ بمَنفوحة — وهى قرية الأعشى — فقلت: هذه قريةُ الأعشى؟ فقالوا: نعم. قلت: فأين منزله؟ قالوا: ذاك، وأشاروا إليه. فقلت: وأين قبره؟ قالوا بفناء بيته. فإذا هو رَطْب، فقلت: مالى أراه رَطْباً؟ قالوا: إن الفِتْيان يُنادمونه ويَجعلون قبرَه مكانَ رجلٍ منهم، فإذا صدر القدَح إليه صَبُّوه على قبره لقوله: أَرْجع إلى اليمامة فأشْبع من الأَطْيَبَيْن: الزِّنا والخمر.

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأعشى، هو:

هُريرةَ وَدِّعها وإنْ لام لائمُ ... غداةَ غدٍ أم أنتَ للبَيْن واجِمُ

لقد كان فى حَوْلٍ ثَواءٍ ثويتُه ... تَقَضّى لُباناتٍ ويَسأمُ سائِمُ

مُبَتَّلة هَيْفاء رُودٌ شَبابُها ... لها مُقْلتا رِئمٍ وأسودُ فاحِمِ

ووَجهٌ نقيُّ اللَّون صافٍ يَزينُه ... مع الحَلْى لبَّاتٌ لها ومَعاصِمِ

(١) منفوحه: قرية باليمامة.

أخبار عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة

نسبه وخلفه

هو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود بن غافل بن حَبيب بن شَمْخ بن فأر بن مَخْزوم بن صاهِلة بن كاهل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدْركة بن أُلياس بن مُضَر بن نِزار . وهو من حُلفاء بنى زُهرة ، من قُريش ، وعِدادُه فيهم .

جده صحبة

وكان عبد الله بن مَسعود البَدْرىّ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وعُتْبة بن مَسعود ، أخوَيْن . ولعُتبة صُحبة أيضاً ، وليس من البدريِّين .

شيء عن أبيه

وكان عبد الله بن عُتبة بن مَسعود رجلاً صالحاً ، واستعمله عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فأحمد أثرَه .

شيء عن أخويه

ولعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبه أخوان : عون ، وعبد الرحمن . وكان عَوْن من أهل الفِقْه والأدب ، وكان ملازماً لعُمر بن عبد العزيز . وصَحِب قبله محمدَ بنَ مروان بن الحكم . وقد تقدم ذكره فى أخبار جرير ، حيث قال له :

يأيها القارىء المُرخى عِمامَته ... هذا زمانُك إنِّى قد مَضى زَمنِى

ولم يكن لعبد الرحمن نَباهة ولا ذِكْر .

أحد الفقهاء السبعة

وأما عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة فهو أحد وُجوه الفُقهاء السَّبعة من أهل المدينة ، الذين لم يكن فى زَمنهم أعلمَ منهم ، وهم : القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وعُرْوَة بن الزُّبير بن العَوّام ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

---

(١) ساق أبو الفرج قبل أخبار عبيد الله أسطرا عن « عمرو بن سعيد » ولم يمض فى الترجمة : ثم أتبعها ببعض أخبار لمغنين وشعراء متفرقة ، مر عنها ابن واصل .

ابن هشام ، وسَعيد بن المُسيِّب ، وخارجة بن زَيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود . رضى الله عنهم .

شيوخه وتلامذته

وكان عُبيد الله ضريراً . وروَى عن جماعة من الصحابة ، مثل : أبن عبّاس ، وأبن مسعود . وروى عنه الزُّهرىّ ، وأبن أبى الزِّناد ، وغيرهما .

تقريب ابن عباس له

وكان أبنُ عبّاس يُقرِّبه ويُؤثره .

تقدير عمر ابن عبد العزيز له

وتُوفِّى عُبيد الله قبل أن يُستخلف عمر بن عبد العزيز . فذُكر أنه كان يقول: لو كان عُبيد الله حيًّا ما صَدرتُ إلاّ عن رأيه ، ولوددْتُ أنّ لى بيوم من عُبيد الله غُرْماً .

رده حاجب عمر فقال شعراً

وذُكر أن عبيد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قبل خلافته يَستأذن عليه ، فردّه الحاجب وقال : عنده عبدُ الله بن عَمرو بن عثمان بن عفّان. فأنصرف غضبانَ . فقال :

وإنى أمرؤ مَن يُصْفِنى الوُدّ يَلْقَنى ... وإن نَزحتْ دارٌ به دائمَ الوَصْلِ
عزيزٌ إخائى مايَنال مودَّتى ... من الناس إلا مُسلمٌ كاملُ العَقل
ولولا أتقائى الله قلتُ قصيدةً ... يسيرُ بها الرُّكبانُ أَبْرَدُها يَغْلى
كفانى يَسيرٌ أن أراك بحاجتى ... كَليلَ اللِّسان لا تُمرِّئُ ولا تُحْلِى
تُلاوذ[1] بالأبواب منِّى مخافةَ الـ ... ـمَلامة والإخلافُ شرٌّ من البُخل
أبِنْ لى تكُن مِثلِى أَوِ ابْتغِ صاحباً ... كمثلك إنِّى مُبتغٍ[2] صاحباً مِثْلى
ومايلبثُ الإخوانُ[3] أن يتفرَّقوا ... إذا لم يُؤلِّف روحُ شكل إلى شَكل

(١) تلاوذ : تراوغ .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تابع » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفتيان » .

هو وعراك وابن حزم وقد مرا به ولم يسلما

وذُكر أن عِرَاك بن مالك ، وأبا بكر بن حَزم ، وعُبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة كانوا يتجالسون بالمدينة زماناً ، ثم إن ابن حَزم وَلِى إمْرتها ، وولى عِراكٌ القضاء ، فكانا يمُرّان بعُبيد الله بن عبد الله ولا يُسلِّمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريراً ، فأُخبر بذلك فأنشأ يقول :

ألاَ أبْلغا عنِّى عِرَاكَ بنَ مالكٍ ... ولا تَدَعا أن تَثْنِيا بأبى بَكْرِ
فقد جعلتْ تَبدو شَوَاكلُ منكما ... كأنّكما بى مُوقَرَان من الصَّخْرِ
وطاوعتُما بى داعِكاً [1] ذا فَظاظة ... لَعَمْرى لقد أَزْرى وما مثله يُزْرِى
ولولا اتقائى ثم بُقْيَاى فيكما ... لَلُمْتكما لوماً أحرَّ من الجمر
فشَمَّا [2] تُرابَ الأرض منها خُلقتُما ... ومنها المَعادُ والمَصيرُ إلى الحَشْر
فلو شئتُ أن أُلْفِى عدوًّا وطاعناً ... لألفيتُه أو قال عندىَ فى السرِّ
فإنْ أنا لم آمُر ولم أَنْهَ عنكما ... ضحكتُ له حتى يَلِجّ ويَسْتشرى

من شعره

قيل : ومن جيِّد شعره قولُه :

إذا كان لى سِرٌّ وحدَّثته العِدا ... وضاق به صَدْرى فَللنَّاسُ أعذَرُ
وسِرُّك ما أستودعتَه وكتمتَه ... وليس بسرٍّ حين يَفشو ويَظْهر

أجازه ابن مرخية على شعر له

وقيل :

أنشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بن مُرْخِيةَ الكلابىّ لنفسه :

لَعَمْرُو أبِى الحُصينَ أيامَ نَلْتقى ... لَمَا لا نُلاقيها من الدَّهر أكثرُ
يَعُدُّون يوماً واحداً [3] إن لَقيتُها ... ويَنْسَوْن ما كانت على الدَّهر تهجرُ
وإنْ أُولع الواشون عَمداً [4] بَبَيْنها ... فإنّا [5] بتَجديد المودّة أبصر

(١) الداعك : الأحمق . والرواية فى بعض أصول الأغانى : «داعكا ذامعاكة» . والمعاكة : الحمق .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فسا » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إن أتيتها » مكان « إن لقيتها » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « بوصلنا » مكان « ببينها » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « فنحن » .

فأعجبت أبياتُه هذه جامعاً ، فسَر بذلك عُبيد الله وكساه وحَمله .

من أخبار جامع ابن مرخية

وجامع بن مُرْخية هذا من شُعراء الحجاز ، وهو الذى يقول :

سألتُ سعيدَ بن المُسيِّب مُفتىَ الـ ... مدينة هل فى حُبِّ ظَمْياء من وِزْر؟

فقال سعيدُ بن المُسيِّب إنما ... يُلام الفَتى فيما أُستطاع من الأمر

فبلغ قولُه سعيداً فقال : كَذب والله ! ما سألنى عن هذا ولا أَفتيتُه بما قال .

من شعر عبيد الله

قال : ومن جَيِّد شعر عُبيد الله قولُه :

أعاذلَ عاجلُ ما أشتهى ... أحبُّ إلىّ من (١) الرَّائثِ

سأُنفِق مالى على لذَّتى ... وأُوثِر نَفسى على الوارث

أُبادر إهلاكَ مستهلِك ... لما لِىَ أو عبثَ العابث

وقوله :

إنْ يَكُ ذا الدهرُ قد أضَرّ بنا ... فى غير بُخل (٢) فرُبما نفعَا

أَبكى على ذلك الزَّمان ولا ... أحسَب شيئاً قد فات مُرْتجَعا

إذ نحنُ فى ظلّ نعمةٍ سلفت ... كانت لها كلُّ نعمة تبَعا

شعره فى مكية فتنته

وذُكر أن امرأة قَدِمت المدينةَ من ناحية مكة ، وكانت من هُذيل ، وكانت جميلةً ، فخطبها الناسُ وكادت تَذهب بعُقول أكثرهم . فقال فيها عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، واستشهد على حُبها بفُقهاء المدينة الذين هو سابعُهم :

(٣) أُحبُّك حُبًّا لا يُحبك مثله ... قريبٌ ولا فى العالَمين بَعيدُ

وحُبُّك يا أُمَّ الصَّبىّ مُدلِّهى ... شَهيدِى أبوبكر فنِعْم (٤) شَهيد

---

(١) الرائث : البطىء . والرواية فى الأغانى : « أحب من الآجل الرائث » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : «من غير زحل» .

(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

أحبك حباً لو علمت ببعضه ... لجدت ولم يصعب عليك شديد

(٤) فى الأغانى : « فأى » مكان « فنعم » . وعليها يكون فى البيت إقواء .

ويعلم وَجْدِى القاسمُ بن محمد وعُروةُ ما أَلقى بكم وسَعيد
ويَعلم ما أُخْفِي سليمانُ عِلْمَه وخارجةٌ يُبْدِى بنا ويُعيد
متى تسألِى عمّا أقُول فتُخبَرى فللحُبِّ عندى طارفٌ وتَليد

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسيِّب فقال : والله لقد أَمِن أن تسألَنا وعَلِم أنها لو اُستشهدتْ بنا لم نَشهد عليه بالباطل عندها .

شعره فى عثمة بعد طلاقها وهو الذى فيه الغناء

وذُكر أنه كان لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة زوجةٌ تُسمَّى عَثْمة ، فطلّقها لعَتْبه عليها فى بَعض الأُمور . وله فيها أشعارٌ كثيرة ، منها شعره الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبارَه ، وهو :

لَعمرى لئن شَطَّت بعَثْمَة دارُهـا لقد كنتُ[1] من وَشْك الفِراق أُلِيحُ
أَرُوحُ بِهَمٍّ ثم أغدُو بمثله ويُحْسَبُ أنِّى فى الثِّياب صَحِيح

من شعره فيها

وقال فيها أيضاً :

ألا مَن لنفسٍ لا تموت فَيَنْقَضى عناها ولا تحيا حياةً لها طَعْمُ
أأترُكُ إتْيانَ الحَبيب تأثُّماً ألا إنّ هِجْران الحَبيب هو الإثم
فذُقْ هَجرها قد كنتَ تزعم أنه رَشادٌ ألا يا رُبّما كذَب الزَّعم

وقال فيها أيضاً :

تغلغل حُبُّ عَثْمةَ فى فؤادى فباديه مع الخافِى يَسِيرُ
تَغلغل حيثُ لم يَبلُغْ شرابٌ ولا حُزْنٌ ولم يبلُغ سُرور
صَدعتِ القلْبَ ثم ذرَرْتِ فيه هواكِ فَلِيمَ والْتَأم[2] الفُطُور
أكادُ إذا ذَكرتُ العَهد منها أطيرُ لوْ أنّ إنساناً يَطِير

(١) فى بعض أصول الأغانى : «لقد كدت» .

(٢) الفطور : الشقوق .

غناء[١] النَّفس أن أزدادَ حُبًّا ولـكنِّى إلى صِـلَةٍ فقـير
وأَنفَذ قادحاكِ[٢] سوادَ قلْبى فأنتِ علىّ ما عِشْنا أمـير

هو وعمر ابن عبد العزيز وقوله الشعر

وذُكر أن عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لعُبيد الله : مالَك وللشِّعر ؟ فقال : وهل يَستطيع المَصدور إلا أن يَنفُث .

وهو رجل كان يقع فى الصحابة

وذُكر أن رجلاً كان يأتى عُبيد الله بن عبد الله فيجلس إليه . فبلغ عبيدَ الله أنه يقع فى بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فجاءه الرجـلُ فلم يلتفت إليه ، وكان الرجلُ سـديدَ[٣] العقل . فقال : ياأبا محمد ، إنّ لك لشأنا ، فإن رأيتَ لى عُذراً فاقبل عُذرى . فقال له : أتَتَّهم الله عزّ وجـل فى عِلْمه ؟ قال : أعوذ بالله ! قال : أتَتَّهم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم فى حَديثه ؟ قال : أعـوذ بالله ! قال : يقول الله عز وجل : (لَقد رَضِى الله عن المُؤمنين إذ يُبايِعُونَك تحت الشَّجرة) . وأنت تقع فى فُلان ، وإنه ممّن بايع ، فهل بلغك أن الله سَخط عليه بعد أن رَضى ؟ فقال : والله لا أعود أبداً .

وفاته

وتُوفى عُبيد الله سنة تسع وتسعين .

وقيل : سنة ثمان وتسعين .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « غنى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « جارحاك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « شديد » .

أخبار الشماخ (*)

نسبه — وهو ابن ضِرار بن سِنَان بن أُمَامة (١) بن عمرو بن جِحاش بن بَجَالة بن مازن بن ثَعلبة بن سَعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان .

أمه — وأمه أنمارية من بنات الخُرْشُب . ويقال : إنهن أنجبُ نساء العرب . واسمها مُعاذة بنت بُجَير بن خَلف (٢) بن إياس .

مخضرم هجا عشيرته — والشماخ مُخضرَم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام . وهو أحد مَن هجا عشيرتَه ، وهجا أضيافَه ومَنّ عليهم بالقِرَى .

لقبه وشيء عن أخويه — والشماخ لقبٌ ، واسمه مَعْقِل . وللشماخ أخوان لأُمّه وأبيه شاعران ، أحدُهما مُزَرِّد ، واسمه يزيد ، والآخر : جَزْء بن ضِرار ، وهوالذى رَثى عُمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله فى ذاك الأديمِ المُمَزَّقِ
فمَن يَسْعَ أو يركبْ جَناحَيْ نَعامةٍ ... ليُدرك ما قدَّمت (٣) بالأمس يُسْبَق
قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائجَ فى أكمامها لم (٤) تُفَتَّق
وما كنتُ أخشى أن تكون وفاتُه ... بكَفَّيْ سَبَنْتَى أزرقِ العَين (٥) مُطْرِق

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار «الشماخ» أصواتا من مدن معبد .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أمية » .

(٢) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « خالد » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «ماحاولت» .

(٤) البوائج : اللواهى . ولم تفتق : لم تنكشف . وفى بعض أصول الأغانى : « بوائق » . والبوائق : الشرور .

(٥) سبنتى : أى جرىء . وأزرق العين : يريد : أعجمياً . ومطرق : فى عينيه استرخاء .

وقد رُوى عن عائشة رضى الله عنها أن الجِنّ ناحتْ على عُمر رضى الله عنه قبل أن يُقتل بثلاثة أيّام بهذا الشِّعر .

طبقته عند ابن سلام

وجَعل مُحمد بن سلاّم الشمّاخ فى الطبقة الثالثة ، وقَرنه بالنابغة ، ولَبيد ، وأبى ذُؤيب الهُذلىّ ، ووَصفه فقال : كان شديدَ مُتون الشِّعر ، أشدَّ كلاماً من لَبيد ، وفيه كَزَازة ، ولَبيد أسهلُ منه مَنْطِقاً .

شهادة الحطيئة له

وقال الحُطيئة فى وصيّته : أَبْلِغوا الشمّاخ أنه أشعرُ غَطَفان . وقد ذُكر ذلك فى أخبار الحطيئة .

وذُكر أنّ الشمّاخ تزوّج امرأة من سُلَيم فأساء إليها وضربها وكسر يدها ، فعَلِقتْ به بنو تَميم يطلُبونه بظُلامة صاحبتهم . فأَنكرها . فقالوا : أحلف ، فجعل يطلُب إليهم أن يَرفعوا عنه اليمين ، ويُغلِّظ أمرها وشِدَّتها عليه ليرضَوْا بها منه ، حتى رَضُوا . فحلف لهم وقال :

ألاَ أصبحتْ عِرْسِى من البيتِ جامِحاً ... بغير بلاء أى أَمْرٍ بدالَها
على خَيْرةٍ كانتْ أم العِرْسُ جامحٌ ... فكيف وقد سُقْنا إلى الحىِّ مالَها
ستَرجع غَضْبَى نَزْرة الحَظِّ (١) عندنا ... كما قَطعتْ فينا بلَيْلٍ وصالَها
أتتْنى سُليم قَضُّها (٢) وقَضيضُها ... تُمسِّح حولى بالحَضيض (٣) سِبالَها
يقولون لى يا أَحْلفْ ولستُ بحالف ... أُخاتِلهم (٤) عنها لكيما أنالَها
ففرّجتُ هَمَّ النفس عنِّى بحَلْفةٍ ... كما شَقَّت الشقراء عنها (٥) جِلالَها

(١) هذه رواية التجريد ، وفى الأغانى : «رثة الحال» .
(٢) القض : الحصى الكبار . والقضيض : الحصى الصغار . أى جاءوا كبيرهم وصغيرهم .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بالبقيع » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «أخادعهم» .
(٥) الشقراء : فرس رمحت ابنها فقتلته . وقيل إنها جمحت بصاحبها يوما فأتت على واد فأرادت أن تثبه فقصرت ، فاندقت عنقها وسلم صاحبها . فسئل عنها فقال : إن الشقراء لم يعد شرها رجلها . والجلال : جمع جل : وهو ماتلبسه الدابة لتصان به . وشقه كناية عن توطها على ابنها ، أو على تردينها وهلاكها .

شعر له من أشعر ما قالت العرب

وقيل : أشعرُ ما قالت العربُ قولُ الشّماخ :

وأشعثَ قد قدّ السفارُ قَميصَه ... يجُرُ شِواءً بالعَصا غيرَ مُنْضَجِ
دعوتُ إلى ما نابنى فأجابنى ... كريمٍ من الفِتْيان غيرِ[1] مُزَلَّج
فتًى يملأُ الشِّيزَى[2] ويُرْوِى سِنانَه ... ويَضرب فى رأس الكَمِيِّ المُدجَّج
فتًى ليس بالرَّاضى بأدنَى معيشةٍ ... ولا فى بُيوت الحىِّ بالمُتولِّج

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الشماخ ، هو قولُه :

رأيت عَرَابَةَ الأوسىَّ يسمو ... إلى الخَيراتِ مُنقطعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ... تلقّاها عَرَابةُ باليَمين

من أخبار عرابة وأبيه وأخيه

وعرابة الذى عَناه الشّماخُ بمدحه هوأحدُ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو عَرابة بن أَوس بن قَيْظىِّ بن عَمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزرج . و إنما قال له الشّماخ عَرابة الأوسىّ ، وهو من الخزرج ، لأنه أراد النِّسبة إلى أبيه «أَوس» لا النِّسبة إلى القَبيلة .

وعرابةُ أحد الذين ردّهم النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم اُستصغاراً لسنِّهم[3] . ومنهم: ابنُ عمر ، وزَيد بن ثابت ، وأبو سَعيد الخُدرىّ .

وأوس أبو عَرابة أحدُ المنافقين الذين شَهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا ، وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة ، وما هى بعورة .

وأخوه أوس بن مِرْبَع بن قَيظىّ مُنافق أيضاً ، وهو الذى حَثا فى وجه النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم التُّراب لما خرج إلى أُحد ، وقد مر فى حائطه[4] ، وقال له :

(١) المزلج : الناقص المروءة ، والرجل يلصق بالقوم وليس منهم .
(٢) الشيزى : قصاع من خشب ، هذا اسمه وبه تعرف .
(٣) يريد الذين أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة أحد لينفروا معه ، فردهم لصغر سنهم .
(٤) الحائط : البستان .

إن كُنت نبيًّا فما أُحِلُّ لك أن تدخُل حائطى! فضَرب به سعد بن زيد الأشْهلىّ وقال: يا رسول الله ، دَعْنى أقتلْه قِتْلة [1] مُنافق . فقال صلّى الله عليه وسلّم : دَعْه فإنه أعمى القَلب أعمى البَصر . فقال أخوه أوس بن قَيظىّ : لا والله ، ولكنّها عداوتُكم يا بَنى عبد الأشهل ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا والله ، ولكنّه نفاقُكم يا بنى قَيظِىّ !

سبب مدحه عرابة

وذُكر أنّ الشّماخ قَدِم المدينة فلقيه عَرابةُ بن أوس ، فسأله عما أقدمه المدينةَ . فقال : أردتُ أن أمتار لأهلى . وكان معه بَعيران ، فأوقرهما له عَرابةُ بن أوس بُرًّا وتمرا ، وكساه وبَرَّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التى يقول فيها هذا الشعر .

بين عرابة ومعاوية وقد سأله كيف ساد قومه

وذُكر أنّ مُعاوية بن أبى سُفيان قال لعَرابة بن أوس: بأى شىء سُدْت قومَك؟ قال : أعفُو عن جاهلهم ، وأُعطى سائلهم ، وأسعى فى حاجاتهم ، فمن فعل كما أفعل فهو مثلى ، ومن قَصّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومَن زاد فهو خيرٌ منّى .

تفضيل أبى نواس الفرزدق على الشماخ

وقيـــل :

إنّ أبا نواس قال : ما أحسنَ الشّماخُ فى قوله :

إذا بلّغْتِنى وحَملتِ رَحْـــلى عَرَابَةَ فاُشرقِى بدَم [2] الوَتِينِ

ألا قال كما قال الفرزدق :

عـلام تلفّتين وأنتَ تحتى وخيرُ النـاس كُلهم أمامِى

متى تَردِى الرُّصافةَ تَستريحى من التَّهْجِير والدَّبَرِ الدَّوامى

---

(١) فى غير التجريد : « فإنه منافق » .

(٢) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . يريد نحرها .

وقال أبو الفرج .

أخذ هذا المعنى داوُد بن سَلْم فقال يَمدح قُثَم بن العبّاس :

غَنِيت[1] عن حَلّى وعن رِحْلتى يا ناقُ إن أدْنَيْتِنِى من قُثَمْ

إنك إن أدنيت منه غـــداً حالفــنى اليُسْر ومات العَدَم

لعبد الملك بن مروان وقد أنشد قول الشماخ فى عرابة

وقيل : أُنشد عبدُ الملك بنُ مروان قولَ الشماخ فى عَرابة :

إذا بَلّغْتنى وحَملت رَحْــلى عَــرابَة فاُشْرَقى بدَم الوَتينِ

فقال : بئست المكافأة كافأهـــا ! حَملت رحلَه و بلّغته بغيته فجعـــل مكافأتها نَحرها !

لشاعر مع المهلب فى مثل ما كان من الشماخ مع عرابة

ومثل هذا ما حكَى ٱبنُ دأب أن رجلاً لقى المُهلَّب بن أبى صُفرة فنَحر ناقته فى وَجهه ، فتطيّر من ذلك وقال : ما قصّتك ؟ فقال :

إنى نَذرتُ لئن لقيتُك سالماً أن تَستمرّ بها شِفارُ الجازرِ

فقال المُهلب : فأَطعمونا من كَبد هذه المَظلومة . ووَصله .

ولبعض الشعراء فى مثله

قلت :

ومثل قول الشّماخ قول الآخر يَمدح بلالَ بن أبى بُردة الأشعرىّ :

إذا ٱبنَ أبى مــوسى بلالاً بلغتِه فقام بفأسٍ بين وِصْلَيْك[2] جازِرُ

و إنما قصد هؤلاء أنهم إذا وَصلوا إلى مَمدوحيهم ٱستغنَوْا عن مطيِّهم لوُصولهم إلى حيث لا بَراح لهم عنه .

وأحسن من هذا كُلِّه قول القائل :

أقــول لنــاقتى إذ بَلّغتْنى لقد أصبحتِ عنــدى بالثّمينِ

---

(١) فى الأغانى : « نجوت من » .

(٢) الوصلان : العجز والفخذ .

حَرِمْتِ على الأَزِمَّـــةِ والوَلَايَا وأَعـلاق الرّحالة [1] والوَضين
فلَم أجعلْك للغِـــرْبان [2] نُحْلاً ولا قُلت أشرقي بـــدَم الوَتِين

المهلب وامرأة نذرت نذراً

وذُكر أنّ امرأة من الأزد لقيت المُهلّب بن أبي صُفرة، وقد قَدِم من حرب كان نهَض إليها، فقالت: أيها الأمير، إني نذرتُ إن لقيتُك سالماً أن أُقبِّل يدك، وأصوم يوماً، وتَهب لي جارية وثلثمائة درهم. فضحك المُهلّب، وقال: قد وفَّينا لك بنَذرك ولا تُعاودي مثلَه، فليس كُل أحد يفي لك به.

أبو دلامة والمهدي

وذُكر أن أبا دُلامة لقي المَهدي لمَّا قدم بغداد، فقال له:

إنِّي نذرتُ لـــئن رأيتُك وارداً أرضَ العِراق وأنتَ ذو وَفرِ
لتُصـــلِّين على النَّبي محمـــــد ولتملأنّ دراهمـــاً حِجْرِي

فقال المهدي: أما النبيّ محمد، فصلّى الله عليه وسلّم. وأما الدّراهم فلا ســـبيلَ إليها. فقال له: أنت أكرمُ من أن تُعطيني أسهلَهما! فضحك وأمر له بما سأل.

وإنما ذكرتُ هذه الأشياء، وإن لم تكن من الباب، لأنّ الشيء يُذكر بمثله.

---

(١) الأزمة: جمع: زمام، وهو المقود. والولايا: جمع ولية، وهي البردعة تكون تحت الرحل. والرحالة: السرج. والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشعر به الرحل على البعير.

(٢) نحلا: عطية وهدية.

أخبار قيس بن ذريح (*)

نسبه

[هو قيس بن ذَرِيح] بن سُنة بن حُذَافة بن طَرِيف بن عُتْوَارة بن عامر ابن لَيْث بن بَكْر بن عَبد مَناة ، وهو علىّ بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدركة ابن اليأس .

أمه

وأمه بنت سُنّة بن الكاهل (١) بن عمرو الخُزاعىّ .

كان رضيع الحسين

وذُكر أنّ قَيْساً كانَ رَضِيعَ الحُسين بن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، أَرْضعته أُمّ قَيس .

أول الهوى بينه وبين لبنى

وذُكر أنّ منزل قَوم قَيس بن ذَرِيح كان بظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه مِن حاضرتها . فمرّ قَيس يوماً لبعض حاجته بخِيام كَعب بن خُزاعة ، والحىُّ خُلوف ، (٢) فَوقف على خَيمة لِلُبنى بنت الحُباب الكَعْبية ، فاستسقى ماءً ، فسقَتْه وخرجت إليه به ، فرآها امرأةً مديدةَ القامة ، شَهلاء (٣) ، حُلوة المنظر والكَلام . فلما رآها وقعتْ فى نفسه ، وشَرِب الماء . فقالت له : أتنزل فتَتبرَّد عندنا ؟ قال : نعم . وجاء أبوها فنَحر له وأَكرمه . فانصرف قيسٌ وفى قَلبه من لُبنى حَرٌّ لا يُطفأ ، فجعل يَنطق الشِّعر فيها حتى شاع .

زواجه بها ثم طلاقه إياها

وذُكر أنّ قيساً أتاها يوماً آخر وقداشتد وجدُه بها ، فسلّم فظهرت له وردّت سلامَه وتحفّت به . فشكا إليها ما يَجد بها وما يَلْقى من حُبّها ، وشَكتْ مثلَ

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار « قيس » صوتا من مدن معبد .

(١) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « الذاهل بن عامر »

(٢) خلوف : غيب .

(٣) شهلاء : يخالط سواد عينيها زرقة .

ذلك فأطالتْ ، وعَرف كُلُّ واحد منهما ما لَه عند صاحبه ، فانصرف إلى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يُزوِّجه إيّاها . فأبَى عليه وقال : يا بُنَى ، عليك بإحدى بناتِ عمِّك وهى أحقُّ بك . وكان ذَريح كثيرَ المال مُوسِراً ، فأحبَّ ألاّ يَخرُج ابنُه إلى غَريبة . فانصرف قيسٌ وقد ساءه ما صَنع أبوه به . فأتى أُمَّه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يُحب ، فأتى الحُسين بن علىّ — عليهما السلام — وأتى ابن أبى عَتيق — وكان صديقه — فشكا إليهما ما به وما رَدّ عليه أبواه . فقال له الحُسين عليه السلام : أنا أكفيك . فمشى إلى أبى لُبنى ، فلما بَصُر به عظَّمه ووثب إليه وقال له : يابن رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألاَ بعثتَ إلىّ فأتيتُك ! فقال : إنّ الذى جئتُ فيه يُوجب قصدَك ، وقد جئتُك خاطباً ابنَتَك لقيس بن ذَريح . فقال : يابن رسول الله ، ما كُنّا لنَعْصِىَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رَغبة ، ولكنّ أحبَّ الأمرَيْن إلينا أن يَخطُبَها ذَريح أبوه ، وأن يكون ذلك عن أمره ، فإنّا نَخاف إنْ لم يَسْعَ أبوه فى هذا أن يكون عاراً وسُبَّة علينا . فأتى الحسينُ ذَريحاً وقومَه وهم مُجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له ، وقالوا له مثلَ قول الخُزاعيّين . فقال الحُسين لذَريح : أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لُبنى على ابنك قَيس . فقال : السمعَ والطاعةَ لأمرك . فخَرج معه فى وُجوهٍ من قومه حتى أتَوْا حىَّ لُبنى ، فخَطبها ذَريح على ابنه إلى أبيها ، فزوّجه إيّاها وزُفّت إليه بعد ذلك . فأقام معها مُدة لا يُنكر أحدٌ منهما من صاحبه شيئاً . وكان أبرَّ الناس بأمه ، فأَلهته لُبْنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك ، فوَجدتْ أُمّه فى نفسها وقالت لأبيه : لقد شغلت هذه المرأةُ ابنى عن برِّى ، ولم تَرَ للكلام فى ذلك موضعاً . حتى مَرِض قيسٌ مرضاً شديداً ، فقالت أُمه لأبيه : لقد خَشِيتُ أن يموت قيس ولم يَترُكْ خَلفاً ، وقد حُرم الولدَ من هذه المرأة ، وأنت ذو مال ، فيَصير مالُك

إلى الكَلَالَة[1]، فزوِّجه بغيرها فلعلّ الله أن يَرْزُقه ولداً ، وأَلحت عليه فى ذلك . فأمهل قيساً حتى إذا اُجتمع قومُه دعاه ثم قال له : يا قيس ، إنّك اُعتلَلْت هذه العِلّة فَخِفْتُ عليك ولا وَلدَ لك ولا لى سواك ، وهذه المرأة ليست بوَلُود ، فتزوّج إحدى بناتِ عمِّك لعلّ الله أن يَهب لك ولداً تقرُّ به عينُك وأعيُننا . فقال له قيس : لستُ متزوِّجاً غيرَها أبداً . فقال له : فإنّ فى مالى سعةً فتسَرَّ بالإماء . فقال : ولا أسوءها والله بشىء أبداً . فقال له أبوه : فإنِّى أُقْسِم عليك إلاّ طَلَّقتها . فأَبى وقال : الموتُ والله أسهلُ علىّ من ذلك ، ولكنِّى أُخيِّرك خصلة من ثلاث خصال. قال : وما هى؟ قال تتزوّج أنت فلعلّ الله أن يَرْزُقك ولداً غيرى . قال : ما فىّ فضلٌ لذلك . قال : دَعْنى أرْحَل عنك بأهلى وأصنع ما كنتَ صانعاً لو مِتُّ فى عِلّتى هذه . قال : لا ، ولا هذه . قال : فأَدَعُ لُبنى عندك وأرتحل عنك فلعلّى أسْلوها، فإنى ما أحب بعد أن تكونَ نفسى طيبةً أنها فى خيالى . فقال : لاأرضَى أو تُطلِّقها . وحَلف ألاّ يَكُنّه سَقْفُ بيتٍ أبداً حتى يُطلِّق لُبنى ، فكان يخرج فيَقِف فى حَرِّ الشمس ، ويجىء قيسٌ فيقف إلى جانبه ، فيُظِلُّه بردائه ويَصْلَى هو بحر الشمس حتى يَفىء الفَىء ، فيَنْصرف عنه ، ويدخُل إلى لُبنى فيُعانقها ويَبكى وتبكى معه وتقول له : ياقيس ، لا تُطِع أباك فتَهْلِكَ وتُهلِكنى. فيقول : ما كنت لأُطيعَ فيك أحداً أبداً . فيقال : إنه مكث كذلك سنة .

ورُوى أنّ قيساً قال: هَجرنى أبواى فى لُبنى عَشرَ سنين ، أستأذن عليهما فيُردّانى . ولم يزالا به حتى طلّقها .

بين ابن صفوان وذريح حين فرق بين قيس وذريح

وذُكر أنّ عبد الله بن صَفوان لَقِى ذَرِيحاً فقال له : ما حَملك على أن فرّقت بينهما ؟ أما بلغك أن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : ما أُبالى أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أم مَشيتُ بينهما بالسَّيف .

(١) الكلالة : مالم يكن من النسب لحا ، أى لاصقا . أو هم الإخوة لأم .

قيـــل :

قيس بعد طلاق لبنى

فلما بانت لُبنى بطلاق قيس إيّاها ، وفُرغ من الكلام ، اُستُطير عقلُه لوقته وذُهب به ولَحَقه مثلُ الجُنون ، وتذكر لُبنى وحالهَا معه ، وجَعل يتأسّف ويَبكى أشدَّ بُكاء . وبلغها الخبرُ فأرسلت إلى أبيها ليَحْملها ، فأقبل أبوها بهَوْدج على ناقة و يابل تَحمل أثاثَها . فلما رأى ذلك قيسٌ أقبل على جاريتها يسألُها . فقالت: لاتَسألنى وسَل نُبنى . فذَهب ليُلِمَّ بخبائها فيسألَها ، فمَنعه قومُها . وأقبلت عليه اُمرأةٌ من قَومه فقالت له : مالك تَسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! وهذه لُبنى ترتحل الليلة أو غداً . فسَقط مغشيًّا عليه لا يَعقل ، ثم أفاق وهو يقول :

و إنى لَمُفْنٍ دمعَ عينىَ بالبُكَا ... حِذَارَ الَّذى قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة ... فراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنتُ أخشَى أن تكون منيّتى ... بكفَّيْكِ إلاّ أنّ ما حان حائِن

وقال أيضاً :

يقولون لُبنى فتنةٌ كنتَ قبلها ... بخير فلا تَندَم عليها وطَلِّقِ
فطاوعتُ أعدائى وعاصيتُ ناصحى ... وأقررتُ عينَ الشامت (١) المُتخلِّق
وَددْتُ و بيتِ الله أنِّي عَصيتُهم ... وحُمِّلتُ فى رِضْوانها كُلّ (٢) مُوبِق
وكُلِّفتُ خوضَ البحْر والبحرُ زاخرٌ ... أَبِيتُ على أَثْباج (٣) مَوْجٍ مُغرِّق
كأنِّى أرى الناسَ المُحبِّين بعدها ... عُصارةَ ماء الحَنْظل المُتفلِّق
فتُنْكر عَينى بعدها كُلَّ مَنظرٍ ... ويَكره سمعى بعدَها كُلَّ مَنطق

(١) المتخلق : المتكلف ما ليس فيه .
(٢) موبق : مهلك .
(٣) أثباج : جمع ثبج ، وهو معظم الشىء وأوسطه وأعلاه .

وسَقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنْعب مِراراً ، فتطيَّر وقال :

لقد نادى الغُرابُ بَيْن لُبْنَى ... فطار القلبُ من حَذَرِ الغُرابِ
وقال غداً تَباعَدُ دارُ لُبْنى ... وتَنْأَى بعد وُدٍّ واقْتراب
فقلتُ تَعِستَ وَيْحك مِن غُرابٍ ... وكان الدهرَ سعيُك فى تَباب

وقال أيضاً ، وقد منعه قومُه من الإلمام بها :

ألا يا غُرابَ البَيْن ويحك نَبِّنى ... بعلمك من لُبْنى وأنت خَبِيرُ
فإنْ أنت لم تُخْبِر بما قد علمتَه ... فلا طِرْتَ إلاّ والجَناح كَسِير
ودُرْتَ بأعداء حبيبُك فيهُم ... كما قد تَرانى بالحبيبِ أدور

وقال أيضاً ، وقد أُدخلت هَودجها ورَحلت وهو يَتْبعها ويبكى :

ألا ياغُراب البَيْن هل أنت مُخْبِرى ... بخيرٍ كما خَبَّرتَ بالنَّأْى والشَّرِّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً ... صدقتَ وهل شىءٌ ببالٍ على الدَّهر

فلما ارتحل بها قومُها اتَّبعها مَليًّا ، ثم علم أنّ أباها سيَمْنعه من المَسير معها ، فوقف ينظرُ إليهم حتى غابُوا عن عَينه ، فكرَّ راجعاً ، ونَظر إلى خُفِّ بَعيرها ، فأكبّ عليه يُقبِّله ، ورَجع يُقبِّل موضعَ مَجلسها وأثر قَدمها . فَلِيمَ على ذلك ، وعَنَّفه قومُه على تَقبيل التُّراب ، فقال :

وما أحببتُ أرضَكُم ولكنْ ... أُقبِّل إثْرَ مَن وَطِىء التُّرابَا
لقد لاقيتُ من كَلَفى بلُبْنى ... بلاءً ما أُسِيغ به الشَّرابا
إذا نادَى مُنادٍ باسم لُبْنَى ... عَيِيتُ فما أُطيقُ له جَوابا

وقال وقد نَظر إلى آثارها :

ألا يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ ... أَبِنْ لى اليومَ ما فَعل الحُلولُ
فلو أنّ الدِّيارَ تُجيب صَبًّا ... لَرَدَّ جوابَ الرَّبْعُ المُحِيل

ولو أنّى قَدرْتُ غداةَ قالتْ : غَدرتَ وماءُ مُقْلتها يَسِيلُ
نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها مقالتها وذاك لها قليل
فصبراً كُلُّ مؤتلفَيْن يوماً من الأيّام عيشُهما يَزُول

ولما جَنّ عليه الليلُ انفرد وأَوَى إلى مَضْجعه فلم يتقارّ فيه ،[1] وجَعل يَتململ فيه تململ السَّليم ، ثم وَثب حتى أتى موضعَ خِبائها فجعل يتمرّغ فيه ، ويقول :

بِتُّ والهَمُّ يا لُبَيْنى ضَجِيعى وجرتْ مُذْ نأيتِ عنّى دمُوعِى
وتنفّستُ إذ ذكرتُك حتى زالت اليومَ عن فؤادى ضُلوعى
أتناساكِ كى يُرِيغ[2] فؤادى ثم يَشتدُّ عند ذاك وَلُوعى
يالُبَيْنَى فدتْك نَفسى وأهلى هل لدهرٍ مضَى لنا من رُجوع

وذُكر أن قيس بن ذَريح مَرض ، فسأل أبوه فتياتِ الحىّ أن يَعدْنه ويُحدِّثْنه لعلّه أن يَتسلَّى بهن أو يَعْلَق بعضهنّ ، ففعلن ذلك . وأتَوْه بطبيبٍ ليداويَه ، فدَخل إليه والفتياتُ معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يُحادثْنه ، وأطَلْن السؤال عن سَبب علّته ، فقال :

عِيدَ قَيْسٌ من حُبّ لُبْنى ولُبْنَى داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شَدِيدُ
فإذا عادنى العوائدُ يوماً قالت العينُ لا أَرَى من أُرِيد
ليت لُبْنَى تَعُودنى ثم أَقْضِى إنها لا تَعود فيمن يَعود
وَيْح قيسٍ لقد تضمَّن منها دَاءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عَمِيد

فقال له الطبيبُ : منذ كم هذه العلّةُ بك ؟ ومنذ كم وجَدتَ بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال :

تَعلّق رُوحى رُوحَها قبل خَلْقنا ومن بعدِ ما كُنّا نِطافاً وفى المَهْدِ

(١) لم يتقار فيه ، أى لم يسكن . والذى فى بعض أصول الأغانى : « لم يأخذه القرار » .
(٢) يريغ : يميل .

فزاد كما زِدْنا فأَصْبح نامياً ... وليس إذا مُتْنا بمُنْفَصِم[1] العَقْد
ولكنّه باقٍ على كُلِّ حادثٍ ... وزائرُنا فى ظُلْمة القَبْرِ واللَّحْد

فقال له الطبيبُ : إنَّ مما يُسَلِّيك عنها أن تَذْكُر مساويَها ومَعايبها وما تَعافه النفسُ من أقذار بنى آدم ؛ فإن النفس تَنْبو حينئذٍ ويخفّ ما بها . فقال :

إذا عِبْتُها شَبَّهْتُها البدرَ طالعاً ... وحَسْبكَ مِن عَيْبٍ لها شَبَهُ البَدْر
لقد فُضِّلت لُبْنَى على الناس[2] مثلَ ما ... على ألفِ شهرٍ فُضِّلت ليلةُ القَدْر
لها كَفَلٌ يَرْتَجُّ منها إذا مَشَتْ ... ومتنٌ كغُصْنِ البانِ مُضْطَمِرُ الخَصْر

وَدخل عليه أبوه، وهو يُخاطب الطبيبَ بهذه المُخاطبة ، فأَنَّبه ولامه وقال له : يا بُنى ، اللهَ اللهَ فى نفسك ! فإنَّك ميِّتٌ ما دُمْت على هذا ! له فقال :

وفى عُرْوةَ العُذْرىّ إن متُّ أُسوةٌ ... وعمرِو بن عَجلانَ الذى قتلتْ[3] هِنْدُ
وبى مثلُ ما ماتَا به غيرَ أنّنى ... إلى أجلٍ لم يأتِنى وقتُه بَعْدُ
هل الحُبّ إلا زَفْرةٌ[4] بعد زَفْرةٍ ... وحَرٌّ على الأحشاءِ ليس له بَرْد
وفيضُ دُموع تَستهِلُّ إذا بدا ... لنا عَلَمٌ من أرضكم لم يكُن يَبْدُو

حديث زواجه بأخرى تدعى لبنى

فلما طال على قَيس ما به أشار قومُه على أبيه أن يُزوِّجه امرأةً جميلة فلعلّه أن يَسْلُو بها عن لُبنى . فدعاه إلى ذلك ، فأَباه وقال :

لقد خِفْتُ ألاّ تَقْنَع النفسُ بعدها ... بشىءٍ من الدُّنيا وإن كان مَقْنَعَا
وأزجُر عنها النَّفسَ إذ حِيل دُونها ... وتأبَى إليها النفس إلاّ تَطلُّعا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بمنصرم العهد » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالذى » مكان « مثل ما » .
(٣) عروة العذرى ، هو ابن حزام ، شاعر إسلامى ، ممن قتلهم الهوى . وله شعر فى عفراء بنت عمه . وستأتى ترجمته . وابن عجلان : شاعر جاهلى ، أحب زوجته هند، ثم طلقها وندم على ذلك . وستأتى ترجمته .
(٤) فى الأغانى : « عبرة » .

فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه. فقالوا : فمُرْه بالمَسير فى أحياء العرب والنُّزول عليهم، فلعلّ عينَه أن تقع على امرأة تُعجبه فتزوِّجه إياها . فأقسم عليه أبوه أن يَفعل . فسار حتى نَزل بحىّ من فَزارة ، فرأى جاريةً حَسناء قد حَسرت بُرْقعها عن وَجهها ، وهى كالبَدر ليلة تِمِّه . فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ فقالت : لُبنى . فَسقط على وجهه مغشيًّا عليه ، فنَضحت على وجهه ماء ، وارتاعت لِمَا عَراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قَيْس بن ذَريح إنه لمجنون . فأفاق . فنَسبتْه ، فانتسب لها . فقالت : قد علمتُ أنك قَيس ، فنَشَدْتُك الله وحَقّ لُبنى إلا أصبتَ من طعامنا . فأصاب منه بإصبعه . وركب ، وأتى على أثره أخٌ لها كان غائباً فرأى مُناخ ناقته ، فسأل عنه فأخبروه . فردّه إلى مَنزله وحَلف ليُقيمن عنده شهراً . فقال : لقد شَقَقْتَ علىّ ولكنّى سأتْبع هواك . فأقام عنده شهراً ، والفزارى يَزداد إعجاباً بحديثه وعَقله ورِوايته . فعرَض عليه الصِّهرَ . فقال له : يا فتى ، إنّ فيك لرغبةً ، لكنّى فى شغل لا يُنتفع بى معه . فلم يَزل يُعاوده والحىّ يلُومونه ويقولون : قد خَشِينا أن يصير علينا فعلُك سُبَّة . فقال : دَعونى ، فنى مثل هذا الفتى يَرغب الكرام. فلم يزل به حتى أَجابه وعقد الصِّهْرَ بينه و بينه على أُخته المُسمّاة لُبنى ، وقال له : أنا أسُوق عنك صَداقها . فقال : أنَا والله أكثر قومى مالاً ، فما حاجتُك إلى تكلُّف هذا ! أنا سائرٌ يا أَخى إلى قَومى وسائقٌ إليها المَهر . ففَعل . وأعلم أباه الذى كان منه . فسَرَّه وساق المَهر عنه . ورَجع به إلى الفَزاريِّين حتى أُدخلت زوجتُه عليه . فلم يَرَوْه هشّ لها ولا دنا منها . فأقام على ذلك أيّاماً كثيرة ، ثم أَعلمهم أنه يُريد الخُروج إلى قومه . فأَذِنوا له فى ذلك . فمضى لوجهه إلى المَدينة . وكان له صديقٌ من الأنصار بها ، فأَعلمه الأنصارىُّ أنّ خَبر تزوُّجه بلغ لُبْنى فغَمَّها ، وقالت : إنه لغَدّار ، ولقد كنتُ أمتنع من إجابة قَومى إلى التَّزويج فأنا الآن أُجيبهم .

زواج لبنى وحديث قيس

وقد كان أبوها شَكا قيساً إلى مُعاوية بن أبى سُفيان وأعلمه تعرُّضه لها بعد الطلاق . فكتب مُعاويةُ إلى مَروان بن الحكم يُهْدِر دمَه إن تعرَّض لها ، وأمر أباها أن يُزوِّجها رجلاً يُعرف بخالد بن حِلِّزة ، من غَطفان ، فزوَّجها أبوها منه . فجَعل النساء ليلةَ زِفافها يقُلْن :

لُبْنى زوجها أصبح لا حُرٌّ[1] بواديه
له فضلٌ على الناس بما باتت تُناجيه
وقيسٌ ميّتٌ[2] حقًّا صريعٌ فى بَواكيه
فلا يُبعده الله وبُعداً لنَواعيه

فجزِع قَيس لما سَمِع ذلك جزعاً شديداً وجعل يَنْشِج أشدَّ نَشِيج ويبكى أحرَّ بكاء . ثم رَكِب من فَوْره حتى أتى محلة قومها ، فناداه النساء : ماتَصنع الآن ها هنا ؟ قد نُقِلتْ لُبنى إلى زَوجها ! وجعل الفتيانُ يُعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها ، وهو لا يُجيبهم ، حتى أتى موضع خِبائها ، فنزل عن راحلته وجَعل يتمعّك[3] فى موضعها ويُمرِّغ خدَّه على تُرابها وَيبكى أحرَّ بكاء ، ثم قال :

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبْنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالدَيْن يَتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه نَحيلٌ وعهدُ الوالدَيْن قَديم
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ دُموعى فأىَّ الجازعَين أَلُوم
أمُستعبراً يَبْكى من الحزّ[4] والجوى أمْ آخَر يبكى شَجْوَه ويَهيم
تَهيَّضنى من حُبِّ لُبْنى علائقٌ وأصنافُ حُبٍّ هَوْلُهنّ[5] قَديم
ومن يتعلَّق حُبَّ لُبْنى فؤادُه يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَليم

(١) فى تزيين الأسواق (١ : ٥٦) : «يوازيه» . مكان« بواديه » .
(٢) فى الأغانى : «حى» مكان «حقا» .
(٣) فى الأغانى « والهوى » مكان « والجوى » . (٤) يتمعك : يتمرغ .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « عظيم » مكان « قديم » .

وإنّي وإن أزمعتُ[1] عنكِ تجلداً ... على العهد فيما بيننا لمُقيم
وإنّ زماناً شتّت الشملَ بيننا ... وبينكمُ فيه العِدَا لمَشُوم
أفي الحقِّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ ... صحيح وقلبي في هواكِ سَقيم

له وقد عاتبه أبوه في إهدار معاوية دمه

وقال أيضاً، وقد عاتبه أبوه وتجهّمه، لمّا بلغه أنّ مُعاوية أهدر دمَه، وقال: انتهى بك الأمرُ إلى أن يُهدر السلطانُ دمَك:

فإنْ يَحجبوها أو يَحُلْ دون وَصْلها ... مَقالةُ واشٍ أو وَعيدُ أمـــيرِ
فلن يَمنعوا عَيْنيَّ من دائم البُكا ... ولن يُذْهِبوا ما قد أجنَّ ضَميرِي
إلى الله أشكو ما أُلاقي من الهوى ... ومِن شَجنٍ يَعتادُني[2] وزَفير
ومن حَرَقٍ للحُبِّ في باطن الحَشَى ... وليلٍ طويلِ الحُزن غيرِ قصير
سأبكي على نَفسي بعينٍ غزيرةٍ ... بُكاءَ حَزينٍ في الوَثاق أَسير
وكُنّا جميعاً قبل أن يَظهر الهَوى ... بأَنعَمِ حالَيْ غِبْطةٍ وسُرور
فما بَرِح الواشُون حتى بدت لهم ... بُطونُ الهَوى مَقْلوبةً لظُهور
لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلُنا ... ولكنّما الدُّنيا متاعُ غُرور

وله في مثله

وقال أيضاً في إهدار مُعاوية دمه إن زارها:

إن تَكُ لُبْنى قد أتى دون قُربها ... حجابٌ مَنيعٌ ما إليه سَبيلُ
فإنّ نَسيم الجوّ يَجمع بيننا ... ونُبصر قَرْن الشَّمس حين تَزُول
وأرواحنا في الحيّ بالليل تَلتقي ... ونَعلم أنّا بالنّهار نَقيل
وتَجمعنا الأرضُ القَرارُ وفوقنا ... سماءٌ نَرى فيها النُّجوم تَجول
إلى أن يعود الدهر سَلْمًا وتنقضي ... تِراتٌ بَغاها عندنا وذُحول

(١) في الأغاني: «أجمعت».
(٢) في بعض أصول الأغاني: «ومن حرق تعتادني».

هو فى حجه وقد لقى لبنى

وذُكر أنه حجّ قيسُ بن ذَريح . وحَجّت لُبنى فى تلك السنة ، فرآها ومعها اَمرأة من قومها ، فدَهِش و بقى واقفاً مكانَه ، ومضت لسبيلها . ثم أرسلت المرأةَ تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره ، فألفَتْه جالساً مكانَه وحدَه يبكى ويقول :

ويومَ مِنًى أعرضتِ عنّى فلم أقُل ... بحاجةِ نَفْسٍ عند لُبْنَى مقالُها
وفى اليأسِ للنَّفس المريضة راحةٌ ... إذا النفسُ رامتْ خُطَّةً لا تنالُها

فدخلتْ خباءه وجعلتْ تُحدِّثه عن لُبنى ويُحدِّثها عن نفسه مَلِيًّا . ولم تُعلمه أنّ لُبنى أرسلتْها إليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلامَ ، فامتنعتْ عليه ، فأنشأ يقول :

إذا طلعتْ شمسُ النَّهار فسلِّمى ... فآيةُ تَسْليمى عليكِ طُلوعُها
بعَشْرِ تحيَّاتٍ إذا الشمسُ أشرقتْ ... وعشرٍ إذا اُصفرّت وحان رجوعُها
ولو أبلغتْها جارةٌ قولىَ اُسْلمى ... طوتْ حَزَناً[1] وارفضّ منها دُموعها
وبانَ الذى تُخْفِى من الوَجدِ فى الحَشَى ... إذا جاءها عنّى حديثٌ يَرُوعها

وقضى الناسُ حَجَّهم وانصرفوا ، فمرَض قيسٌ فى طريقه مرضاً أشفى منه على الموت ، فلم يأته رسولُها عائداً ؛ لأنّ قومَها رأَوه وعَلِموا به ، فقال :

أُلُبْنَى لقد جَلَّت عليكِ مُصيبتى ... غداةَ غدٍ إذْ حَلّ ما أتوقَّعُ
تُمنّينى نَيلاً وتَلْوينَنى به ... فنَفسىَ شوقاً كُلَّ يومٍ تَقَطَّعُ
أُخبِّرت أنّى فيكِ[2] مِتُّ بحَسْرتى ... فما فاضَ مِن عينَيْكِ للوجد مَدْمع
ولكنْ لعَمْرى قد بكيتُكِ جاهداً ... وإن كان دائى كُلُّه مِنكِ أجمع
صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَنِى ... فظلَّتْ علىّ العائداتُ تَفجَّع

(١) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « بكت جزعا » .
(٢) فى الأغانى : « ميت حسرتى » . مكان « مت بحسرتى » .

فقائلةٌ جئنا إليـــه وقد قضى ... وقائلةٌ بل قد تركناه [1] يَنْزِع
فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاكَ عَبرةٌ ... وعينى على مَا بِى لذكراكِ تَدْمع
إذا أنتِ لم تَبْكى علىّ [2] جِنازةً ... لديكِ فلا تَبكى غداً حين أُرْفَع

فبلغتْها الأبياتُ ، فجَزِعتْ وبكتْ بُكاءً شديدا . ثم خَرجت إليه ليلاً على مَوعد ، وأعتذرت وقالت : إنما أُبْقى عليك وأَخشى أن تُقْتَل ، فأنا أتجافاك لذلك ، ولولا هذا ما تفرّقنا ، وودّعتْه وانصرفت .

شعره الذى فى بعضه الغناء

وقيـــل :

بلغه أنّ أهلَها قالوا لها : إنه عَليل لما به ، وإنّه سيموت فى سفره هذا . فقالت لهم ، لتدفعَهم عن نفسها : ما أُراه إلّا كاذباً فيما يدّعى ومُتعلِّلاً . فقال شعره الذى فى بعضه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَه :

تـــكاد بـــلادُ الله يا أُمَّ مَعْمَرٍ ... بمـــا رَحُبت يوماً علىّ تَضِيقُ
تُـــكذِّبنى بالوُدِّ لُبنى وليتَهـــا ... تُـــكَلَّف مـــنِّى مثلَه فتَذُوق
ولو تَعْلمـين الغَيْبَ أيقنتِ أنّنى ... لـكمُ والهدايا المُشْعَراتِ [3] صَديق
تَتُوق إليكِ النفسُ ثم أَرُدُّهـا ... حياءً ومِثْلى بالحيـــاء حَقيق
أَذُود سَوَامَ الطَّرف [4] عنك وماله ... على أحـدٍ إلا عليكِ طَريق
وإنّى وإن حاولتِ صُرْمى وهِجْرتى ... عليكِ مِنَ أحداث الزَّمَان لشَفيق
ولَمْ أرَ أيّاماً كأيّامنـــا التى ... مَرَرْنَ علينا والزمانُ أَنيق

(١) فى الأغانى : « وقائلة لا بل تركناه » .

(٢) جنازة ، أى مشرفاً على الموت .

(٣) الهدايا : ما يساق إلى مكة من النعم ؛ الواحدة : هدية . والمشعرات : المعلمات ، إذ كانوا يطعنونها فى سنامها الأيمن حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدايا .

(٤) فى الأغانى : « النفس » .

ووعدُكِ إيّانا وقد[1] قلتِ عاجلٌ ... بعيدٌ كما قد تعلمين سَحيق
وحدّثتنى يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البُعد من لُبْنى فسوف تَذُوق
فمتْ كَمداً أو عِشْ سقيماً فإنما ... تُكلِّفنى ما لا أُراك تُطيـــق
أطعتَ وُشاةً لم يكُن لك فيهُم ... خليلٌ ولا حانٍ[2] عليك شفيق
بِلُبْنى أُنادَى عند أول غَشْيةٍ ... ويَثْنى بها الدّاعى لها فأُفيق
شَهِدتُ على نَفسى بأنك غادةٌ ... رَدَاحٌ وأنّ الوجه منك[3] عَتِيق
وأنّكِ لا تَجْزِينَنى بصحَـــابةٍ ... ولا أنا للهجران منك مُطيق
وأنكِ قَسَّمتِ الفُؤاد فنِصْفُه ... رَهينٌ ونصفٌ فى الحِبال وَثيق
صَبُوحى إذا ماذَرَّتِ الشمسُ ذكرُكم ... ولى ذكرُكم عند المَساء غَبُوق
إذا أنا عَزَّيتُ الهَوى أو تركتُه ... أتت عَبَراتٌ بالدُّموع تَسُوق
كأنّ الهَوى بين الحَيازيم والحَشَى ... وبين التَّراقِى واللَّهاةِ[4] حَرِيق
وإن كنتِ لمّا تعلمى العِلْمَ[5] فاعلَمى ... وبعضٌ لبعض فى الفَعال[6] يفوق
سَلى هل قَلانى من عَشيرٍ صَحِبْتُه ... وهل ذَمَّ[7] رَحْلى فى الرِّفاق رَفيق
وهل يَجْتوى القومُ الكرامُ صَحابتى ... إذا أُغْبِرّ مَخْشِىُّ الفِجاج عَميق
سَعى الدَّهرُ والواشُون بينى وبينها ... فقُطِّع حَبلُ الوَصل وهو وَثِيق
هل الصبرُ إلا أن أَصُدّ فلا أُرَى ... بأرضك إلاّ أنْ يكونَ طَرِيق

---

(١) فى الأغانى : «ولو» .

(٢) فى الأغانى : «جار» .

(٣) الرداح : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الكريم .

(٤) الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والتراق : العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ؛ الواحدة : ترقوة . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

(٥) فى الأغانى : «فاسألى» .

(٦) فى الأغانى : «فوق» مكان «يفوق» .

(٧) فى الأغانى : «مل» .

باع زوج لبنى ناقة وهو لا يعرفه وحديث ذلك

ثم أتى قيسُ بن ذَريح قومَه فاقتطع قطعةً من إبله ، وأعلم أباه أنه يُريد المدينة ليبيعَها ويَمتار لأهله بقيمتها . فعرف أبوه أنه إنّما يُريد لُبنى ، فعاتبه وزَجره عن ذلك ، فلم يقبل منه ، وأخذ إبلَه وقَدِم بها المدينة . فبينا هو يَعرضها إذ ساومه زوجُ لُبنى بناقةٍ منها ، وهما لا يتعارفان ، فباعه إيّاها وقال : إذا كان فى غدٍ فأْت مكانَ كذا فاقْبِض الثمن . قال : نعم . ومَضى زَوجُ لُبنى إليها ، فقال: إنّى ابتعتُ ناقةً من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غداً ليَقْبض الثَّمن ، فأَعدِّى له طعاماً . ففعلتْ . فلما كان من الغد جاء ، فصوّت بالخادم : قُولى لسيّدك : صاحبُ الناقة بالباب. فعرفتْ لُبنى نَغْمَته . فلم تَقُل شيئاً . فقال زوجُها للخادم : قُولى له : يدخل. فدَخل فجلس . فقالت لُبنى للخادم : قُولى له : يافتى، مالى أراك أَشْعثَ ! فقالت له ذلك . فتنفَّس ثم قال: هكذا حالُ مَن فارق الأحبَّة واختار الموت على الحيـاة ، وبكا . فقالت لها لُبنى : قُولى له : حدِّثنا حديثَك. فلما ابتدأ يُحدِّثهم ، كشفت الحجابَ وقالت : حَسْبك ! قد عرفنا حديثَك ! وأسبلت الحجابَ . فبُهِت ساعةً لا يتكلَّم ، ثم انفجر باكياً ، ثم نَهض فخرج . فنـاداه زوجُ لُبنى : ويحك ! ماقِصّتك ؟ ارجع فاقبض ثمنَ ناقتك ، وإن شئت زِدْناك . فلم يُكلِّمه ، وخَرج وَركب راحلَته ومَضى . فقالت لُبنى لزوجها : ويحك ! هذا قَيس بن ذَريح ، فما حَملك على ما فعلتَ به . فقال : ما عرفتُه . وجعل قَيسٌ يبكى فى طريقه ويندُب نفسَه ويوبِّخها على فِعله ، وقال :

أتبكى على لُبْنى وأنت تركتَها ... وكُنت عليها بالمَلا أنتَ أَقدرُ
فإن تكنِ الدُّنيا بلُبنى تفرَّقت ... فللدَّهر والدُّنيا[1] بُطونٌ وأَظْهُر
لقـد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكفّ مُرتاد وللعَـيْن مَنْظر
وللحائم العَطشان رِىٌّ بريقها ... وللمَرح المُختـال خَمْرٌ ومُسْكِر
كأنّى فى[2] أُرجُوحةٍ بين أحبُلٍ ... إذا ذُكْرةٌ منها على القلب تَخْطُر

(١) فى الأغانى : « تقلبتا على فللدنيا » .
(٢) فى الأغانى : « لها » .

مرضه

وعاد قيسٌ إلى قومه بعد رُؤيته إيَّاها ، وقد أنكر نفسه وأَسِف ، ولحَقه أمرٌ عظيم . فأنكروه وسألوه عن حاله ، فلم يُخبرهم . ومَرض مَرضاً شديداً أَشرف منه على الموت . فدخل إليه أبواه ورجالٌ من قومه فكلَّموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : ويحكم ! أترَوْنى أمرضتُ نفسى أو وجدتُ لها سَلوةً بعد اليأس فأُخترتُ الهَمّ والبلاء ، أوْ لِى فى ذلك صُنع ؟ هذا ما أُختاره لى أبواى وقَتلانى به ! فجعل أبوه يَبكى ويدعو له بالفَرج والسَّلْوة . فقال قيس :

لقد عذَّبْتَنِي يا حُبّ لُبنى ... فقَعْ إمّا بمَوْتٍ أو حَياةِ
فإنّ الموتَ أروحُ من حياةٍ ... تَدُوم على التّباعُد والشَّتات
وقال الأَقربون تَعزَّ عنها ... فقلتُ لهم إذا حانت وَفاتى

رسول لبنى إليه يسأله عن زواجه بعدها

ودَسّت إليه لُبنى رسولاً بعد خُروجه وقالت : أستَنْشده ، فإذا سألك عن نَسبك، فانتسب له خُزاعيًّا ، فإذا أنشدك فقل له : لِمَ تزوّجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوّج بعدك ؟ واحفظ ما يقوله حتى تَرُدّه علىّ . فأتاه الرسولُ ، فسلّم وانتسب خُزاعيًّا ، وذكر أنه من أهل الشام ، واستنشده ، فأنشده :

أيا كَبِداً صارت[1] صُدوعاً نوافذاً ... ويا حَسْرتَا ماذا تَغلْغَل فى القَلْبِ
وأُقسِم ما عُمْشُ العُيون شَوارِفٌ ... روائمُ بَوٍّ حائماتٌ على[2] سَقْب
تَشمَّمْنَه لو يَستطعنَ أرتَشَفْنه ... إذا سُفْنه يَزْدَدْن نَكْباً على[3] نَكْب
رَئِمْن فما تَنْحاش منهنّ شارفٌ ... وحالَفْن حَبساً فى المُحول وفى الجَدْب

(١) فى الأغانى : « طارت » .

(٢) الشوارف : المسان من النوق : ؛ الوحدة ، شارفة . والروائم : التى تعطف على غير أولادها ؛ الواحدة : رائمة . والبو : جلد الحوار يحشى ويقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر . والسقب . ولد الناقة .

(٣) ساف : شم . والنكب ، بالتحريك وسكن للشعر : داء تظلع منه الإبل .

بأَوْجدَ منِّى يومَ ولَّت حُمولُهـــا وقدطلعتْ أُولَى الرِّكاب على[1] النَّقب
وكُلُّ مُلِمّات الزَّمان وجـــدتُها سوى فُرقةِ الأَحبـاب هَيِّنَةَ الخَطْب

فقال له الرجلُ : فلم تزَوجتَ بعـدها ؟ فأخبره خبَره ، وحَلف له أنّ عينه ما اكتحلت بالمرأة التى تزوّجها ، وأنه لو رآها فى نِسْوة ماعَرفها ، وأنه مامَدَّ يدَه إليها ولا كلّمها ولا كَشف لها عن ثوب. فقال له : فإنِّى جارٌ لها ، وإنها من الوَجد بك على حال قد تمنَّى زوجها معها أن تكون بقُربها لتصلُح حالها بك ، فحمِّلنى إليها ما شئت أن أُؤدِّه إليها . قال : تَعُود إلىّ إذا أردتَ الرحيل . فعاد إليه ، فأَنشده :

ألاَ حَىٍّ لُبنى اليومَ إن كنتَ غادِيَا وأَلْمِمْ بهـا من قبـلِ أنْ لا تَلاقِيَا
وأَهْـــدِ لها منك النصيحةَ إنّهـا قليـــلٌ ولا تَخْش الوُشاةَ الأَدانيا
وقُل إنّنى والراقصـــاتِ إلى مِنًى بأَجْبُـل جَمْعٍ[2] يَنْتَظِرْنَ المُناديا
أصونُكِ عن بَعضِ الأُمور مَضَـنَّةً وأَخشَى عليكِ الـكاشحين الأعاديا
تَسَـاقَطُ نفسى حين ألقـاكِ أنفُساً يَرِدْنَ فمـا يَصْدُرْن إلّا صَواديا
فإن أَحْيى أو أَهْلِك فلستُ بزائلٍ لـكم حافظاً ما بَلّ رِيقى[3] لسـانيا
أقول إذا نَفسى من الوَجْـدِ أصعدتْ بها زَفرةٌ تَعتـادنى هىَ ما هيـــا
و بين الحَشى والنَّحر منِّى حـرارةٌ ولوعةُ وَجْـدٍ تترك القلبَ ساهِيـــا
ألَا ليت لُبنى لم تَكُنْ لىَ[4] خُـلَّةً ولم ترَنى لُبنى ولم أَدْرِ ما هِيـــا
سَلِى النـاسَ هل خَبّرتُ سِرّك منهمُ أخاً ثِقـــةٍ أو ظاهرَ الغِشِّ باديا
لَعمرى لفِيكِ اليوم[5] حُمِّلتُ ما أرى وأُنذرت من لُبنى الذى كنتُ لاقيـا
خليلىَّ ما لى قـــد بَليتُ ولا أَرى لُبَيْنَى على الهِجْران إلّا كما هيـا

(١) فى الأغانى : « من » .
(٢) جمع : المزدلفة .
(٣) فى الأغانى : « ريق » .
(٤) خلة : صديقة .
(٥) فى الأغانى : « لقبل اليوم حملت ما ترى » .

ألا يا غُرابَ البَيْن ما لكَ كُلّما ... ذكرتُ لُبَينى طِرْتَ لِى عن شِمالِيا
أعِنْدكَ علمُ الغَيبِ أم لستَ[1] مُخْبِرى ... عن الحقّ إلا بالّذى قد بَدا ليا
جَزِعتُ عليها لو أرى لىَ مَجْزَعاً ... وأفنيتُ دَمعَ العَين لو كان فانيا
حياتَكَ لا تُغلَبْ عليها فإنه ... كَفى بالذى تَلْقى لنَفسك ناهيا
تَمُرُّ الليالى والشُّهور ولا أرى ... وَلُوعى بها يَزداد إلّا تَماديا

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدةُ تختلط بقصيدة المَجنون التى على وَزنها وقافيتها ، ولتشابههما قلّما يتميزان .

بريكة بينه وبينها وشعره فى ذلك

وذُكر أنّه كانت امرأة من موالى بنى زهرة يُقال لها : بُرَيكة من أظرف النّساء وأكرمهن ، وكان لها زَوج من قُريش له دار ضيافة . فلما طالت عِلّة قَيس قال له أبوه : إنّى لأعلم أنّ شفاءك فى القُرب من لُبنى ، فارحل إلى المدينة . فرَحل إليها ، حتى أتى دار الضيافة التى لزَوج بُريكة ، فوثب غِلْمانها[2] إلى رَحْل قيس ليُحطّوه . فقال : لا تفعلوا، فلستُ نازلاً أو ألقى بُرَيكة، فإنى قصدتُها فى حاجة ،فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم و إلا رحلتُ . فأتَوْها فأخبروها . فخرجت إليه وسلّمت عليه ورحّبت به وقالت : حاجتُك مقضيّة فانزل. فنَزل ودنامنها وقال: أذكر حاجتى؟ فقالت:إن شئتَ . فقال : أنا قَيس بن ذَريح. قالت : حَيّاك الله وقرّبك! إنّ ذكرك عندنا لجَديد فى كُل وقت . قال : فحاجتى أن أرى لُبنى نظرةً واحدة . قالت : ذاك لك علىّ . فنَزل عندهم وأقام ، وأخْفت خبَره . ثم أهدى لها هَدايا كثيرةً وقال : لاطِفيها و زَوْجها بهذه حتى تأنَس بك . ففعلت ، وزارتْها مراراً ، ثم قالت لزَوجها : أخبرنى عنك : أنت خيرٌ من زَوجى؟ قال : لا . قالت : فلُبْنى

(١) فى بعض أصول الأغانى: « أم أنت » .
(٢) فى الأغانى : « غلمانه » .

خيرٌ منى ؟ قال : لا . قالت : فما بالى أزورها ولا تَزُورنى ! قال : ذاك إليها . فأتتها وسألتها الزيارةَ وأعْلمتها أن قَيساً عندها . فسارعت إلى ذلك وأتتها ، فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يَتْلَفان . ثم جعلتْ تسأله عن خبره وعلَّته ، فيُخبرها . ويسألها فتُخبره . ثم قالت : أنشدنى ما قُلتَ فى علَّتك . فأنشدها قولَه :

أُعالج مِن نَفسى بَقايَا حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تَعُودُ
فإنْ ذُكرت لُبنى هَشِشْتُ لذكرها ... كما هَشّ للثَّدْى الدَّرُور وَليد
أُجيب بلُبنى مَن دَعانى تجلُّداً ... ولى [1] زَفراتٌ تَنْجلى وتَعود

ومنها :

ألاَ ليتَ أياماً مَضَيْن تعود ... فإن عُدْنَ يوماً إنّنى لَسعيد
سَقى دارَ لُبنى حيث حلَّت وخَيَّمت ... من الأرض مُنْهلٌ الغَمام رَعُود
فلا اليأسُ يُسْلِيني ولا القُربُ نافعى ... ولُبْنَى مَنُوعٌ ما تكاد تَجود
رمتْنى لُبَينى فى الفؤاد بسَهْمها ... وسَهمُ لُبينى للفُؤاد صَيُود
سَلاَ كُلُّ ذى شَجْوٍ علمتُ مكانَه ... وقَلبى للُبْنى ما حَييتُ وَدُود
وقائلةٍ قد مات أو هو مَيِّتٌ ... ولِلنَّفس مِنِّى أن تَفيظ [2] رَصيد

وعاتبته على تزوّجه . فحَلف أنّه لم ينظُر إليها مِلْء عينيه ولا دَنا منها. فصدَّقته. وقال :

ولقد أردتُ الصَّبرعنكِ فعاقنى ... عَلَقٌ بقَلْبى مِن هواك قَديمُ
يَبقَى على حَدَثِ الزمان وريْبه ... وعلى جَفائِك إنه لكريم
فصَرَمتِه وصَححْتِ وهو بدائه ... شَتَّان بين مُصحَّح وسَقيم
قاربْته [3] زمناً فعاد بحِلْمه ... إنّ المُحِبّ على [4] الحَبيب حَليم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وبى » .
(٢) فى الأغانى : « تفيض » .
(٣) فى الأغانى : « واربته » . . والمواربة : المخادعة والمخاتلة .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « عن » .

فلم يزل يومَه معها يحدِّثها ويَشكو إليها أكرمَ حديث وأعفَّ شكوى ، حتى أمستْ وانصرفت . ووعدتْه الرُّجوع إليه من غد . فلم تَرجع إليه . وشاع خبرُه ، فلم تُرسل إليه رسولاً . فكتب هذه الأبياتَ فى رُقعة ودفعها إلى بُرَيكة وسألها أن تُوصلها إليها . ورَحل متوجِّها إلى مُعاوية بن أبي سُفيان . والأبيات :

بنَفسى مَنْ قلبى له الدهرَ ذاكرُ ... ومَنْ هو غَنِّى مُعرِضُ القلبِ صابرُ

ومَن حُبُّه يزداد [1] عندى تجدُّداً ... وحُبِّى لديه مُخْلَقُ العهد داثر

ثم ارتحل إلى مُعاوية ، فدَخل إلى يزيد بن مُعاوية وشكا ما به واُمتدحه ، فرقّ له وقال : سَل ماشئتَ ، إن شئت أكتب إلى زَوجها فأُحتِّم عليه أن يُطلِّقها ، فعلتُ ؟ قال : لا أُريد ذلك ، ولكن أُحب أن أُقيم حيث تُقيم من البلاد ، فأَعرف أخبارَها من غير أن يُهْدَر دمى . فقال : لو سألتَ هذا من غير أن تَرحل إلينا فيه لما وَجب أن تُمنَعه ، فأَقم حيثُ شئت . وأَخذ كتاب أبيه له بأن يُقيم حيث أَحبّ ، لا يَعترض عليه أحدٌ ، وأَزال ما كان كُتب به من إهدار دمه . فقَدِم إلى بلده . وبلغ الفَزاريِّين خبرُه وإلمامُه بلُبنى ، فكاتَبوه فى ذلك وعاتبوه ، فقال للرسول : قل للفتى — يعنى أخا الجارية التى تزوجها — : يا أخى ، ما غَررتُك من نفسى ، وقد أعلمتُك أنى مَشغول عن كُل أحد ، وقد جعلتُ أمر أُختك إليك فأَمض فيه من حُكمك ما أردت .

فتكرّم الفتى عن أن يُفرِّق بينهما . فمكثت فى حِباله [2] مُدةً حتى ماتت .

أنشد عياشاً السعدى من شعره فى لبنى

وحكى عيّاش السَّعدىّ قال :

أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة [3] ، فلما كنتُ بالمَذاد [4] ، إذا رَبْعٌ حديثُ عَهد بالساكن فيه ، وإذا رجلٌ مُجتمع فى جانب ذلك الرَّبع يبكى ويُحدِّث نفسه ،

(١) فى الأغانى : « عندى جدة » مكان « عندى تجددا » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى خباء له » . (٣) الغابة : بريد من المدينة على طريق الشام .

(٤) المذاد : موضع بالمدينة .

فسلَّمتُ عليه ، فلم يَرُد السلام علىّ ، فقلتُ فى نفسى : رجلٌ مُلْتَبِسٌ به ![1] فولَّيتُ عنه . فصاح بى بعد ساعة : وعليك السلام ، هلُم يا صاحب السلام . فأتيتُه . فقال : أما والله لقد فهمتُ سلامَك ، ولـكنِّى رجل مُشْتَرَك اللُّب يَضِلُّ عنِّى أحيـاناً ثم يعود إلىّ . قلت : ومَن أنت سلَّمك الله ؟ قال : أنا قيس بن ذَرِيح اللَّيْثى . قلت: صاحب لُبنى ؟ قال : لَعمرى وقَتيلُها ! ثم أرسل عَينيه كأنهما مزادتان ، فما أنسى حُسن قوله :

أبائنةٌ لُبنى ولم تَقطع المَـــدَى ... بوصلٍ ولاصُرْمٍ فييأسَ طامِعُ
نَهارِى نهارُ الوَالهـين صَبابةً ... ولَيلِىَ تَنْبو فيه عنِّى المَضاجـع
وقد كنتُ قبـل اليوم خِلْوًا وإنما ... تُقَسَّم بـين الهالـكين المَصارع
فلولا رجاء القَلب أن تُسعِف النَّوى ... لَمَا حبستْه بينهنّ الأَضالع
له وَجَباتٌ إثْر لُبـنى كأنهـا ... شَقائقُ بَرْق فى السَّماء لَوَامـع
أبَى اللهُ أن يَلقى الرشـادَ مُتَيَّمٌ ... أَلَا كُلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدَّ واقِـع
هما تركانى[2] مُعـوِلَيْن كلاهما ... فؤادٌ وعينٌ جفنُها الدهرَ دامع

استنشده ابن أبى عتيق أحسن ماقاله فى لبنى

وذُكر أنّ ابن أبى عَتيق قال لقيس يوماً : أَنشدنى أحسنَ[3] ما قُلت فى لُبنى . فأنشده قولَه :

وإنّى لأَهْوى النومَ من غير[4] نَعْسَةٍ ... لَعلّ لقاءً فى المَنـام يـكونُ
تُحدِّثنى الأحـلامُ أنِّى أراكُم ... فيا ليتَ أحـلامَ المَنام يَقِين
شَهدتُ بأنِّي لم أَحُلْ عن مَودَّة ... وأنِّى بـكم لو تَعلمـين ضَـنِين
وأنّ فُؤادى لا يَلِينُ إلى هَوَى ... سـواكِ وإن قالُوا بَلى سَـيلين

(١) أى خولط فى عقله .
(٢) فى الأغانى : « هما برحانى » .
(٣) فى الأغانى : « أحر » .
(٤) فى الأغانى : « حينه » .

فقال له ابنُ أبى عَتيـــق : لقلّ ما رضيتَ به منها يا قَيس ! فقال : ذا جَهد المُقِـلّ .

من جيد شعره ومن حَسن شعر قَيس قولُه من قصيدة :

إذا أمرتْنى العــاذلاتُ بهَجرها أبتْ كَبِـدٌ عمّا يقُلْن صَديعُ
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحُبُّهـا يُؤرِّقنى والعــاذلاتُ هُجوع

ومِن جَيِّد شعره قصيدتُه العينية التى منها :

أتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَهـا فكنتَ كآتٍ حَتْفَه وهو طائِعُ
فيا قلبُ صَبْراً واعترافاً بحُبِّهـا ويا حُبَّهـا قَعْ بالّذى أنتَ واقِع
ويا قلبُ خَبِّرنى إذا شَطَّت النَّوى بلُبْنى وبانت عنك ماأنتَ صانِع
أتصبر للبَـيْن المُشِتِّ مع الجَوى أم أنت امرؤٌ ناسِى الحياء فجازِع
كأنّك بِدْعٌ[1] لم ترَ النّاس قبلَها ولم يَطَّلِعْك الدهرُ فيما يُطـالِع
ألا يا غُرابَ البَيْن قد طِرْتَ بالذى أُحاذِرُ من لُبنى فهل أنتَ واقِع
فما مِنْ مُحبٍّ دائمٌ[2] لحَبيبـه ولا ثِقَةٌ إلّا له الدهرَ فاجِـع
كأنّ بلادَ الله ما لم تـكُن بها وإنْ كان فيها الناسُ وحشٌ[3] بلاقِع

ومنها أبياتٌ ثلاثة تقدّمت فى أخبار المجنون منسوبةٌ إليه .

قال أبو الفرج : والصحيحُ أنها لابن الدُّمينة ، وهى :

أُقَضِّى نهارى بالحـديث وبالمُنَى ويَجْمعـنى والهمَّ بالليـل جامع
نهارِى نهارُ النّاس حتى إذا بدا لِىَ اللَّيلُ هَزَّتْنى إليكِ المَضاجع
لقد ثَبتت فى القَلْب منك مَودَّة كما ثَبتت[4] فى الراحتَيْن الأَصابع

(١) بدع : لم يجرب الأمور .
(٢) فى الأغانى : « فليس محب دائما » .
(٣) فى الأغانى : « قفر » .
(٤) فى الأغانى : « رسخت » .

ومن قصيدة قيس بن ذريح :

ألاَ إنّما أبكى لما هو واقع ... فهل جَزَعى من وَشْك ذلك نافع
وقد كنتُ أبكى والنَّوى مُطمئنّةٌ ... بنا و بكم من عِلْم ما البينُ صانع
وأعْمِد للأرض التى لا أريدها ... لِتَرْجِعَنى يوماً إليكِ الرَّواجع
وأهجرُكم هَجْر البَغيض وحُبُّكم ... على كَبِدى منه شؤُون[1] صَوادع
وأُشْفِق من هِجرانكم وتَرُوعنى ... مخافةُ وشكِ البَيْن والشملُ جامع
فما كُل ما مَنَّتْك نفسُك خالياً ... تُلاقِ ولا كُل الهوى أنت تابع
فتِلْك لُبَيْنى قد تَراخَى مَزارُها ... وتلك نَواها غُرْبةٌ ما تُطاوع
وليس لأمرٍ حاول اللهُ جَمعَه ... مُشتٌ ولا ما فرَّق اللهُ جامع
فلا تبكيَنْ فى إثر لُبْنى ندامةً ... وقد نَزعتْها من يديْك النَّوازع

ذكر عود لبنى إلى قيس

وساطة الحسن والحسين وابن جعفر

ذُكر أنَّ أُبن أبى عَتيق صار إلى الحَسن والحُسين ، أبنى علىّ بن أبى طالب، عليهم السلام ، وعبدِ الله بن جعفر بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ، وجماعةٍ من قُريش ، وقال لهم : إنّ لى حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّنى ، و إنى أستعين بجاهكم وأموالكم عليه . قالوا : ذلك مَبذول منّا . فاجتَمعوا ليوم وَعدهم فيه . فمضى بهم إلى زَوج لُبنى . فلما رآهم أعظم مَصيرهم إليه وأكبرهم . فقالوا : قد جئناك بأجمعنا فى حاجة لأُبن أبى عَتيق . فقال : هى مَقضيّة كائنةً ما كانت . قال أُبن أبى عتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من أهل أو ملك أو مال ؟ قال : نعم . قال : تَهَب ولهم ولى لُبْنى زَوجتَك وتُطلِّقها . قال : فإنّى أُشهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً . فاستحيا القومُ واعتذروا وقالوا : والله ما عرّفنا حاجَته ، ولو عرّفنا أنها هذه ما سألناك إياها .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كلوم » .

فعوّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم ، وحملها ابنُ أبى عتيق إليه ، فلم تزل عنده حتى انقضت عِدّتها . فسأل القومُ أباها فزوّجها قيساً ، ولم تزل عنده حتى ماتا . فقال قيس يمدح ابن أبى عتيق :

جَزى الرحمٰن أفضلَ ما يُجازِى ... على الإحسان خَيراً من صَدِيقِ
فقد جَرّبتُ إخوانى جميعاً ... فما أَلفيتُ كابن أبى عتيق
سَعى فى جَمْع شَمْلى بعد صَدْعٍ ... ورأيٍ جُرْت فيه عن[1] طَرِيقى
وأَطفأ لوعةً كانت بقَلْبى ... أَغصَّتْنى حرارتُها بريقى

فقال له ابنُ أبى عتيق : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المَديح ، فما يَسمعه أحد إلّا ظَنَّنى قَوّاداً .

موتهما

هذا ما ذهب إليه بعضُ العلماء . وذهب بعضهم إلى أنهما ماتا على تهاجرهما . وبعضُهم ذكر أنها ماتت أولاً ، وخَرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقفوا على قبرها ، فقال :

ماتت لُبينى فموتُها موتِى ... هل تَنفَعَنْ حَسْرتى على الفَوْتِ
فسوف أبكى بُكاء مُكتئبٍ ... قضى حياةً وَجْداً على مَيْت

ثم أكبّ على القبر يبكى حتى أُغمى عليه ، فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يُجيب مُتكلِّماً ، ثم مات فدُفن إلى جنبها .

قلت :

وهذه الرِّواية لا تَنفى أنها رجعتْ إليه ، فإنّ من الجائز أنها تُوفيت وجرى ذلك وهى فى حِباله .

وذكر بعضُهم أنه توفى أولاً ، وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . والله أعلم أىّ ذلك كان .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ورأى حدت فيه عن الطريق » .